

توحيد الله تعالى في عبادة التوبة والإنابة

مسائل عقدية وأحكام

(كتاب تفاعلي)

منى الشمري







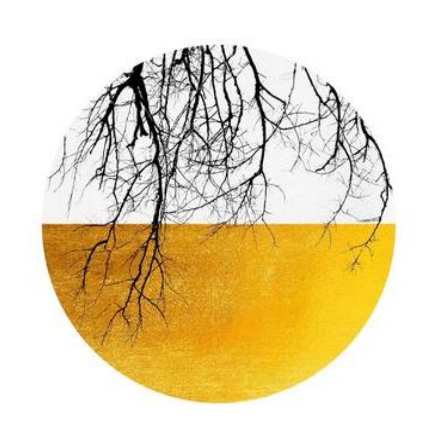


توحيد الله تعالى في عبادة التوبة والإنابة

مسائل عقدية وأحكام

(كتاب تفاعلي)

جمع وترتيب
منى الشمري





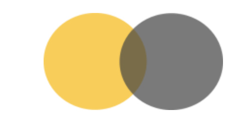
"من نزل في التوبة وقام مقامها نزل في جميع منازل الإسلام،

فإن التوبة الكاملة متضمنة لها، وهي متدرجة فيها،

فإذا استقرت قدمه في منزل التوبة نزل بعده منزل الإنابة"

ابن القيم ((مدارج السالكين)) (٤٣٢/١)





المـقدمة

الحمد لله الكريم المنان، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فالتوبة والإنابة من أشرف العبادات، وأسمى أعمال القلوب التي تنقل العبد من ألم المعصية وحسرات النفس إلى السعي الدؤوب في تجديد الإيمان، وتقوية الصلة مع رب العباد الرحمن الرحيم.

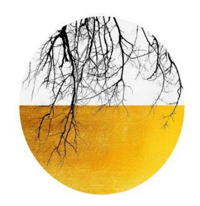
بالتوبة تحصل الإنابة، وبالإنابة يستقيم الإخلاص والعمل الصالح.

بالتوبة يكون الانكسار والانطراح على أبواب الرحمن، وبالإنابة يكون الإصرار على الترقي بالطاعات، وتعظيم حرمات الله تعالى.

بالتوبة يقلع الإنسان عن المعاصي، ويفارق أصحابها وأماكنها، وبالإنابة يقبل على الله تعالى قولاً وعملاً.

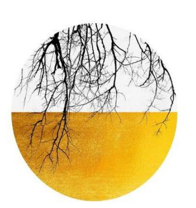
فالتوبة والإنابة بابا فضل ورحمة وكرم إلهي يفتحهما الله تعالى لمن علم في قلوبهم محبة وإخلاصًا، وتطلعًا للتقرب إليه سبحانه، ورجاء ما عنده من الرحمة والمغفرة.

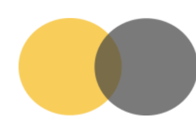
فمن أجل هذه اليقظة بعد الغفلة كان هذا الجمع من أحكام عبادتي [التوبة والإنابة].





المحتويات



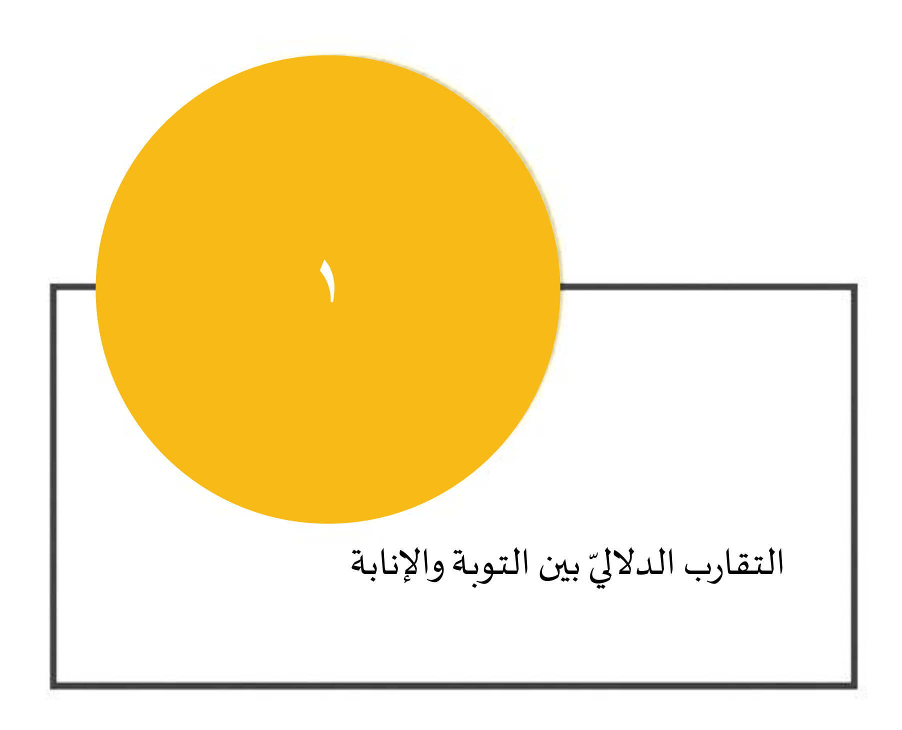



قال عز وجل:

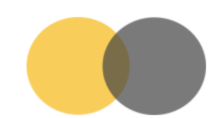
{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:٣١]







التقارب الدلاليّ بين التوبة والإنابة



تعريف التوبة في اللغة: التوبة مصدر الفعل تاب، وأصل هذه المادة: التاء، والواو، والباء توب. وهي تدور حول معاني الرجوع، والعودة، والإنابة، والندم.

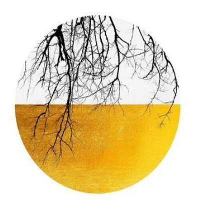
قال ابن فارس - رحمه الله - في مادة توب: "التاء، والواو، والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع".

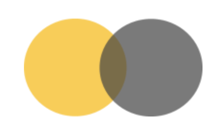
يقال: تاب من ذنبه: أي رجع عنه، يتوب إلى الله توبةً، ومتاباً فهو تائب. والتوب: التوبة، قال الله تعالى: {قَابِلِ التَّوْبِ} [غافر: ٣].

وقال ابن منظور - رحمه الله- : "وتاب إلى الله يتوب توباً، وتوبة، ومتاباً: أناب، ورجع عن المعصية إلى الطاعة".

"وتاب الله عليه: وفقه لها، ورجل تواب: تائب إلى الله، والله تواب: يتوب على عبده"

والتوبة تكون من الله على العبد، ومن العبد إلى الله؛ فإذا كانت من الله عُدِّيت بعلى، وإذا كانت من العبد إلى الله عديت بإلى.





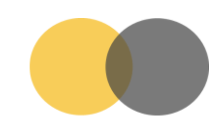
التَّوْبُ: ترك الذنب على أجمل الوجوه ، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإنّ الاعتذار على ثلاثة أوجه: إمّا أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة.

والتَّوْبَةُ في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة.

وتاب إلى الله، فذكر «إلى الله» يقتضي الإنابة، نحو: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة:٥٤].



كتاب المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني – ص١٦٩



ورد لفظ التوبة في القرآن الكريم دالاً على معان عدة منها:

١ - التوبة بمعنى الندم:

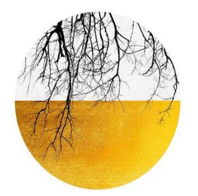
ومنه قوله - تعالى -: {فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [البقرة: ٥٤]. وقوله - تعالى -: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

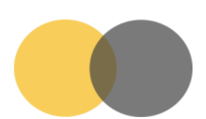
٢ - التوبة بمعنى التجاوز:

ومنه قوله - تعالى -: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} [التوبة: ١١٧]، أي تجاوز عنهم. وقوله تعالى : {وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب: ٧٣].

٣ - التوبة بمعنى الرجوع عن الشيء:

ومنه قوله - تعالى - على لسان موسى - عليه السلام -: {سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ} [الأعراف: ١٤٣]، أي رجعت عن سؤالي الرؤية.



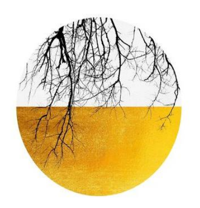


التائب إلى الله تعالى هو الراجع من شيء إلى شيء، راجع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة، راجع عما نهى الله عنه إلى أمره، وعن معصيته إلى طاعته، وعما يكرهه إلى ما يرضاه، رجوع من الأضداد إلى أسباب الوداد، ورجوع إليه تعالى بعد المفارقة، وإلى طاعته بعد المخالفة.

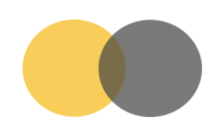
فمن رجع عن المخالفات خوفاً من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع حياء فهو منيب.

ومن رجع تعظيماً لجلال الله سبحانه فهو أوّاب.

والتوبة أحسن ما قيل في معناها شرعاً: هو الرجوع من البعد عن الله إلى القرب إليه سبحانه وتعالى.



كتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين – محمد علي بن علان – ج ١ ص ٩٠



التائب يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة، فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده.

والتَّوَّاب: العبد الكثير التوبة، وذلك بتركه كلّ وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركا لجميعه.

وقد يقال ذلك لله تعالى لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال.

وقوله: ﴿وَمَنْ تابَ وَعَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتاباً﴾ [الفرقان: ٧١] أي: التوبة التامة، وهو الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل.





قال ابن جرير: (تأويل قوله: إنه هو التواب الرحيم أن الله جل ثناؤه هو التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه،

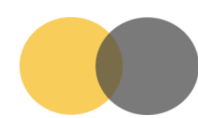
التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه.

ومعنى التوبة من العبد إلى ربه: إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيما مما يكرهه ربه،

فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك، ويتوب من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه).



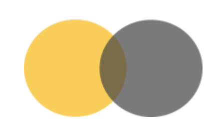
كتاب تفسير ابن جرير - ج١ ص ٥٨٧

قال الله عز وجل:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]





النَّوْب: رجوع الشيء مرة بعد أخرى. يقال: ناب نوبا ونوبة،

وسمي النحل نوبا لرجوعها إلى مقارها، ونابته نائبة. أي: حادثة من شأنها أن تنوب دائبا.

والإنابة إلى الله تعالى: الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل.

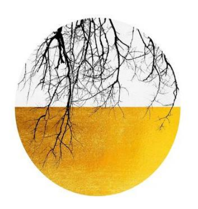
قال تعالى: {وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص: ٢٤]

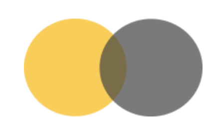





الإنابة: الرجوع إلى الله بالقيام بطاعته، واجتناب معصيته،

وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها؛ لما تشعر به من الاعتماد على الله، واللجوء إليه، ولا تكون إلا لله تعالى.





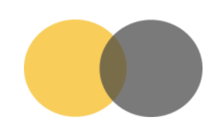
{منيب} أي: راجع إلى الله سبحانه وتعالى من معصيته إلى طاعته، فيشمل القائم بالعبادة ولو بدون أن يذنب، ويشمل التائب من الذنب.

فإن الرجل إذا قام يصلي يتعبد لله يقال: إنه أناب إلى الله تعالى.

وإذا أذنب ثم استغفر وعاد يقال: إنه أناب إلى الله تعالى أيضًا.

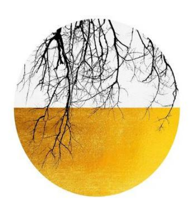
تشمل الإنابة من ذنب فعله، فتكون بمعنى التوبة، وتشمل الإنابة إلى الله تعالى القيام بطاعته فتكون أشمل وأعم.



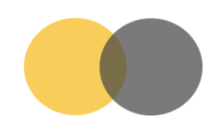


المنيب: الراجع إلى الحق بطاعة الله، فإذا انحرف أو شغله شاغل ابتدر الرجوع إلى ما كان فيه من الاستقامة والامتثال، فلا يفارقه حال الطاعة، وإذا فارقه قليلا آب إليه وأناب.

وإطلاق المنيب على التائب، والإنابة على التوبة من تفاريع هذا المعنى.



كتاب التحرير والتنوير– محمد الطاهر ابن عاشور – ج٢٦ ص ٢٩١



التوبة والإنابة بمعنى واحد.

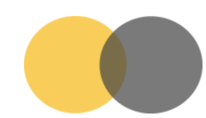
ولكن بعض العلماء يقول: الإنابة أخص من التوبة أي: آكد؛ لأنها توبة مع إقبال إلى الله عز وجل، أي: توبة خاصة.

والإنسان قد يتوب ويترك الذنب ولا يعود إليه، ويندم عليه، ولكن قد يكون في الإقبال على الله إقبال ضعيف،

أما الإنابة فهي إقبال على الله عز وجل، ولهذا قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]

أي: ارجعوا له، وأقبلوا عليه سبحانه وتعالى {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [الزمر: ٥٤].





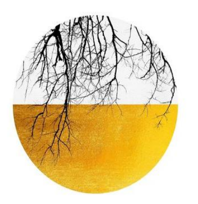
الإنابة: هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا يُفارِقه.

وحقيقة ذلك: عكوف القلب على محبَّتِه، وذكره بالإجلال والتعظيم،

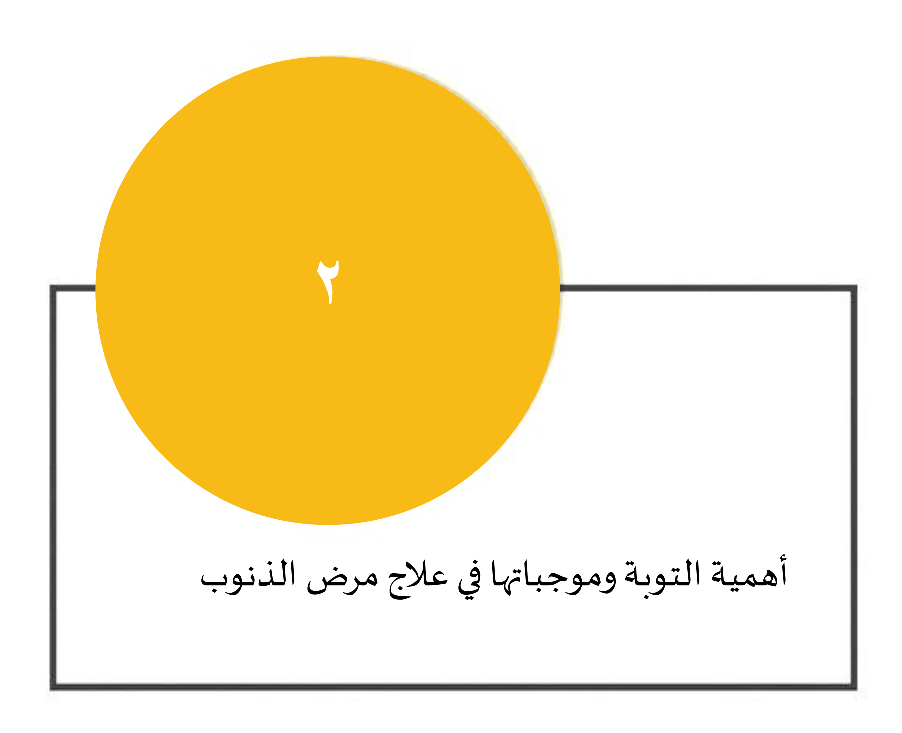
وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة، كما قال إمام الحنفاء لقومه:

{مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ} [الأنبياء:٥٢]

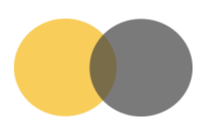
فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل، وكان حظه العكوف على الرب الجليل.







أهمية التوبة وموجباتها في علاج مرض الذنوب



منزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به.

فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك،

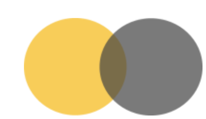
وقد قال الله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:٣١]

وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم،

ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي؛ إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون.



كتاب مدارج السالكين – ابن القيم – ج١ ص ١٩٦



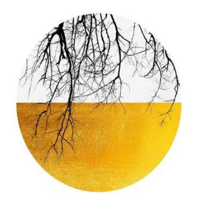
أمر الله تعالى بالتوبة فقال: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:٣١]

لأن المؤمن يدعوه إيمانه إلى التوبة.

ثم علق على ذلك الفلاح، فقال: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرا وباطنا، إلى: ما يحبه ظاهرا وباطنا،

ودل هذا أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا،

وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة في قوله: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ} أي: لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة.





قال تعالى : {وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١] قسم العباد إلى تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث البتة،

وأوقع اسم الظالم على من لم يتب، ولا أظلم منه؛ لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وآفات أعماله،

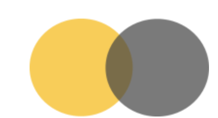
وفي الصحيح عنه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلى اللهِ، فإنِّي أَتُوبُ في اليَومِ إلَيْهِ مِئَةَ مَرَّةٍ» (١)
وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم " «ربِّ اغفر لي وتُبْ عليَّ إنك أنتَ التوابُ الغفورُ مائةَ مرةً» (٢)

وما صلى صلاة قط بعد إذ أنزلت عليه {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] إلى آخرها، إلا قال فيها «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي».(٣)
وصح عنه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه قال «لَنْ يُنَجِّيَ أحَدًا مِنكُم عَمَلُهُ، قالوا: ولا أنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ برَحْمَةٍ مِنْه وَفَضل» (٤)

فصلوات الله وسلامه على أعلم الخلق بالله وحقوقه وعظمته، وما يستحقه جلاله من العبودية، وأعرفهم بالعبودية وحقوقها وأقومهم بها.



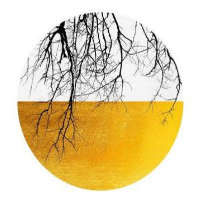
كتاب مدارج السالكين – ابن القيم –ج١ ص ١٩٦
(١) صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٨١)
(٢) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤) باختلاف يسير
(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة إذا جاء نصر الله، برقم (٤٩٦٧)
(٤) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)



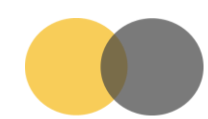
التوبة من أهم المهمات، ومن أعظم الفروض على كل مسلم، يجب على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة التوبة إلى الله سبحانه من جميع الذنوب، وأن يحاسب المؤمن والمؤمنة نفسه في جميع الأوقات حتى يبادر بالتوبة من جميع الذنوب، وحتى يحذر إدمانها، والإصرار عليها.

ومن رحمة الله سبحانه ومن إحسانه إلى عباده أن شرع لهم التوبة، وفتح لهم بابها؛ حتى لا يضرهم الذنب؛ فإن من تاب تاب الله عليه، ومن تاب من الذنب فكمن لا ذنب له كما قاله النبي -عليه الصلاة والسلام-.

ولو أن العبد لا توبة له لكانت مصيبة عظيمة، فمن ذا الذي يسلم من الذنوب، ولكن من رحمة الله أن من تاب صادقًا مخلصًا لله تاب الله عليه، كما قال الله سبحانه في كتابه العظيم: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:٣١]
وقال تعالى في سورة التحريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [التحريم:٨] الآية، وعسى من الله واجبة.
والمعنى: أن من تاب كفّر الله سيئاته وأدخله الجنة وأفلح كما في الآية السابقة، فالتائب مفلح، وله الجنة والكرامة إذا تاب توبة صادقة، والواجب على كل مسلم ومسلمة أن يصدق في التوبة، وأن يحرص عليها.



الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله - شروط التوبة وسبيل العودة إلى الله تعالى – فتاوى نور على الدرب

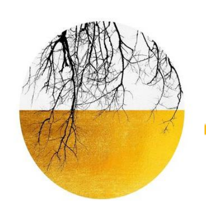


اتفقت الأمة على أن التوبة فرض، والفرائض لا تؤدى إلا بنية وقصد.

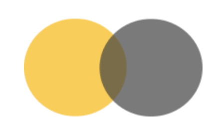
ولو وقعت الكبائر مكفرة بالوضوء والصلاة أو أداء بقية أركان الإسلام لم يحتج إلى التوبة، وهذا باطل بالإجماع.
وأيضا: فلو كفرت الكبائر بفعل الفرائض لم يبق لأحد ذنب يدخل به النار إذا أتى بالفرائض.

قال الحافظ ابن رجب: "وهذا يشبه قول المرجئة، وهو باطل".

وكما ذكره ابن عبد البر في التمهيد، وحكى إجماع المسلمين على ذلك، واستدل عليه بأحاديث، منها قوله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-: " «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ ما بيْنَهُنَّ إذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ» (١) متفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.



كتاب لوامع الأنوار البهية – محمد بن أحمد السفاريني – ج١ ص٣٧٤
(١) صحيح مسلم (٢٣٣)



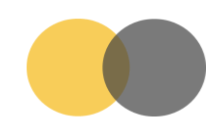
التوبة فرض عين في حق كل شخص، ولا يتصور أن يستغني عنها أحد من البشر؛ لأنه إن خلا عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنب بالقلب،

وإن خلا فلا يخلو عن وساوس الشيطان بإيراد الخواطر الصارفة عن ذكر الله عز وجل،

حتى وإن خلا منها فلا يخلو عن غفلة وقصور بالعلم بالله وبصفاته وأفعاله.

لذا فكل إنسان مفتقر إلى التوبة، والرجوع عن التعويج الذي وجد إلى سنن الطريق المستقيم.





التوبة مأمورٌ بها إجمالا وتفصيلاً قال - عز وجل - {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} [التحريم:٨] هذا إجمالاً.

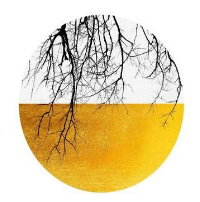
كل مؤمن حتى الصالح، حتى الأنبياء مأمورون بالتوبة، كان صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقول «إنَّه لَيُغانُ على قَلبي، وإنِّي لَأستَغفِرُ اللهَ في كُلِّ يَومٍ مِئةَ مَرَّةٍ»(١)

فالتوبة مأمورٌ بها سواء كان العبد مُسَدَّداً أو كان دون ذلك.

فأعظم الأسباب التي يفعلها العبد لمحو السيئات عنه التوبة، فمن فَعَلَ سيئة مهما كانت حتى الكفر والشرك فإنَّ الله عز وجل يمحو أثره بالتوبة إليه سبحانه

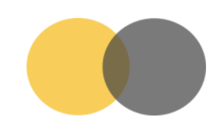
وتعالى، قال عز وجل بعد أن ذَكَرَ أصناف الكبائر في سورة الفرقان: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} [الفرقان:٧٠-٧١] .



كتاب شرح العقيدة الطحاوية – إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل - صالح آل الشيخ - ص٣٧٢

(١) صحيح مسلم (٢٧٠٢)



لا ريب أنَّ أصل المعاصي من مرض القلوب: إما بالانحراف والهوى، وإما بالتَّكبر، وإما بالجهل والغفلة،

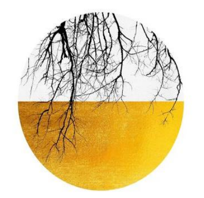
وأعظم دواء وأحسن كتابٍ لعلاج أمراض القلوب كتاب الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم، هو أحسن كتابٍ، وأصدق كتابٍ، وأنفع كتابٍ، وأوضح كتابٍ،

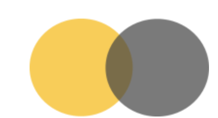
فليس بعده كتاب، بل هو أعظم الكتب وأشرفها وأحسنها دواءً وبيانًا للدواء.

ثم سنة الرسول ﷺ وأحاديثه فيها أيضًا من الدواء ما فيها، فهي الوحي الثاني، والأصل الثاني،

ومن أحسن الكتب في ذلك الصحيحان: "صحيح البخاري" و"مسلم"، ثم بعدهما بقية الكتب الستة،

ولكن بالنسبة إلى عامَّة الناس المختصر من هذه الكتب: كـ"رياض الصالحين" و"بلوغ المرام" و"عمدة الحديث"، هذه كتب مفيدة.





إن كثيرا من الناس إذا ذكرت التوبة والاستغفار يستشعر قبائح قد فعلها، فعلم بالعلم العام أنها قبيحة: كالفاحشة والظلم الظاهر.

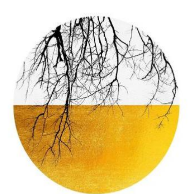
فأما ما قد يتخذ دينًا فلا يعلم أنه ذنب إلا من علم أنه باطل. كدين المشركين وأهل الكتاب المبدل؛ فإنه مما تجب التوبة والاستغفار منه، وأهله يحسبون أنهم

على هدى، وكذلك البدع كلها. ولهذا قال طائفة من السلف - منهم الثوري -: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

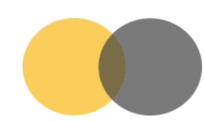
وهذا معنى ما روي عن طائفة أنهم قالوا: إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة؛ بمعنى أنه لا يتوب منها؛ لأنه يحسب أنه على هدى، ولو تاب لتاب عليه، كما يتوب على الكافر.

ومن قال: إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقًا فقد غلط غلطا منكرا، ومن قال: ما أذن الله لصاحب بدعة في توبة؛ فمعناه ما دام مبتدعا يراها حسنة لا يتوب منها،

فأما إذا أراه الله أنها قبيحة فإنه يتوب منها، كما يرى الكافر أنه على ضلال؛ وإلا فمعلوم أن كثيرًا ممن كان على بدعة تبين له ضلالها، وتاب الله عليه منها، وهؤلاء لا يحصيهم إلا الله.



كتاب مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج١١ ص٦٨٤



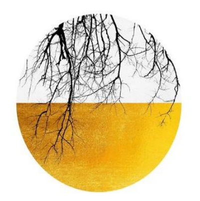
دواء الذنوب بالتوبة:

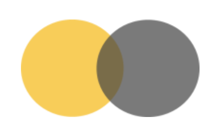
أولا:

اعلم أن الذنب إما أن يكون: بسبب الغفلة؛ فطريق علاجه العلم.

فعلى التائب أن يسلك طريق الهداية من تعلم العلم وتعليمه والدعوة إليه والعمل به،

ويعتقد أن الذنوب مضرة يجب تركها، ويتذكر إنذارات القرآن الكريم، ووعيده للعاصين، وما جرى للعصاة على اختلاف الأمم بسبب ذنوبهم.

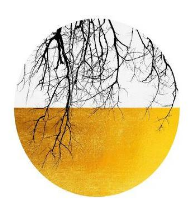


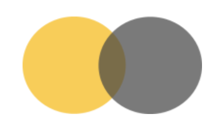


وإن كان الذنب بسبب غلبة الشهوة ونوازع النفس، فطريق علاجه الصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى،

وما أطفأ العبد جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة،

فليتوضأ وليصل، وليعمر أوقاته بتقوى الله، ويزكي نفسه بطاعته تعالى، ويطهرها من خبائث الأخلاق وذميم الخصال.





دواء الذنوب بالتوبة:

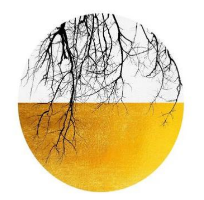
ثانيا:

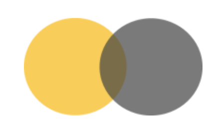
أن يعتصم بالله:

فمن اعتصم به سبحانه ولجأ إليه في كل أحواله تولاه ونصره على عدويه اللذين لا يفارقانه أبدا، وهما النفس والشيطان الرجيم، ولم يخذله أبدا؛

قال تعالى: {وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [آل عمران: ١٠١].

وأن يعتصم بحبل الله: وهو القرآن الكريم ويعمل بأوامره وأحكامه، ويهتدي به ويداوم على تلاوته وتدبره والاتعاظ بأخباره.





دواء الذنوب بالتوبة:

ثالثا:

أن يخاف تعجيل العقوبة في الدنيا؛

فقد يحرم العبد الرزق بالذنب يصيبه، وكذلك يخاف الفقر والمرض إن هو أصر على عصيانه. قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «إن العبدَ ليُحرَمُ الرزقَ بالذنبِ يصيبُه»(١)

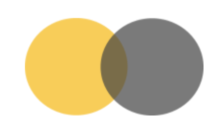
وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «لم تَظهَرِ الفاحشةُ في قَومٍ قطُّ حتى يُعلِنوا بها إلا فَشا فيهم الطاعونُ والأَوْجاعُ التي لم تكُنْ مَضَتْ في أسلافِهِمْ» (٢)

كتاب التوبة إلى الله – صالح بن غانم السدلان – ص٤٥

(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ٢٧٧، ٢٨٢ و «ابن ماجه» (٩٠) (٤٠٢٢)، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٤٩٣. وسنده ضعيف بهذه الزيادة.

(٢) رواه «ابن ماجه» (٤٠١٩)، وفي سنده كلام، لكن له شواهد ينجبر بها، «فتح الباري» ١٠/ ١٩٣.





دواء الذنوب بالتوبة:

رابعا:

أن يطيب مطعمه ولا يأكل إلا حلالا: فالعبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحر.

قال رسول الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ -: «إنَّ اللَّهَ طيِّبٌ لا يقبلُ إلَّا طيِّبًا ، وإنَّ اللَّهَ أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ بِهِ المرسلينَ فقالَ:

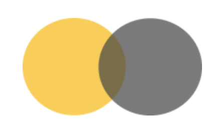
{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١]، وقالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢]

ثم ذَكرَ الرَّجلَ يُطيلُ السَّفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يدَه إلى السَّماءِ يا ربِّ يا ربِّ ومطعمُه حرامٌ ومشربُه حرامٌ وملبسُه حرامٌ وغذِّيَ بالحرامِ فأنَّى يستجابُ لذلِك"(١)



كتاب التوبة إلى الله – صالح بن غانم السدلان – ص٤٧

(١) رواه مسلم (١٠١٥)



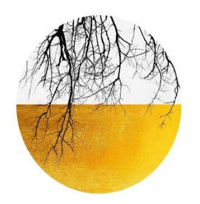
دواء الذنوب بالتوبة:

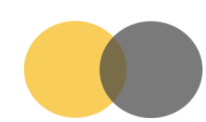
خامسا:

أن يذكر العبد أنه قائم بين يدي الله غدا يحاسبه على كل أعماله؛ فينظر إلى لذة المعصية التي نالها قد ولت، والعقوبة عليها قد حلت، فيزجر نفسه ويخاف الذنوب التي عملها، ويقطع كل سبب يبعده عن الله تعالى.

سادسا:

أن يذكر سرعة لقاء ربه: فهو يتوقع في كل لحظة نزول الموت به؛ وما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار، إلا الجنة أو النار، ويتفكر في أمر المعاد وهول المطالع، وشدة بطش الله تعالى وأليم عذابه؛ قال الله تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم: ٣٩].

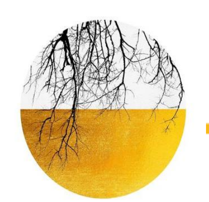




دواء الذنوب بالتوبة:

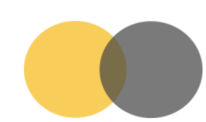
سابعًا:

البعد عن قرناء السوء، وتخير الأصحاب واستبدالهم بجليس صالح يذكره بالله ويدله عليه، والعلماء في كل عصر مصابيح الدجى، فعليه بمجالستهم، والتزود من علمهم وتوجيهاتهم، وسيجد بذلك الربح الوفير والخير الكثير إن شاء الله؛ قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : «إنّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ ، وجَلِيسِ السُّوءِ ، كَحامِلِ المِسْكِ ، ونافِخِ الكِيرِ ، فَحامِلُ المِسْكِ ، إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ ، وإمَّا أنْ تَبْتاعَ مِنْهُ ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، ونافِخُ الكِيرِ ، إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ ، وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»(١)



كتاب التوبة إلى الله – صالح بن غانم السدلان – ص٤٨

(١) رواه «البخاري» (٢١٠١) و (٥٥٣٤)، و «مسلم» (٢٦٢٨).



دواء الذنوب بالتوبة:

ثامنًا:

أن يستعيذ بالله من شر وساوس الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: ٣٦].

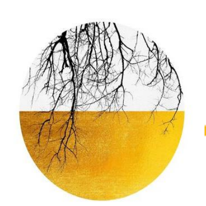
تاسعًا:

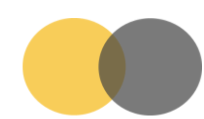
الاستغفار من أكبر الحسنات؛ فمن أحس بتقصير في قوله أو عمله، أو غلبه الهوى على نفسه، أو تغير حاله في رزق أو غيره، فعليه بالتوبة والاستغفار؛

ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص؛ ففي الاستغفار كل شيء، فمن أراد الولد فعليه بالاستغفار، ومن أراد الجنة فعليه بالاستغفار،

قال الله تعالى حكاية عن نبيه نوح وقوله لقومه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ

وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح: ١٠ - ١٢].





دواء الذنوب بالتوبة:

عاشرًا:

إمساك فضول النظر والكلام والطعام، وطاعة الله حيثما كان وأينما كان، وإتباع السيئة بالحسنة، وعدم الإصرار على الذنب؛

قال تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: ١١٤].

وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في وصيته لمعاذ: «اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ ، وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُهَا ، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسنٍ» (١)



كتاب التوبة إلى الله – صالح بن غانم السدلان – ص ٤٩

(١) رواه «الترمذي» (١٩٨٨)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ١٥٣، ١٥٨، ١٧٧، ٢٣٦، و «الدارمي» ٢/ ٣٢٣، والحاكم ١/ ٥٤. وهو حديث حسن بشواهده



من موجبات التوبة الصحيحة كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء، ولا تكون لغير المذنب، لا تحصل بجوع، ولا رياضة، ولا حب مجرد، وإنما هي أمر وراء هذا كله، تكسر القلب بين يدي الرب كسرة تامة، قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقته بين يدي ربه طريحا ذليلا خاشعا.

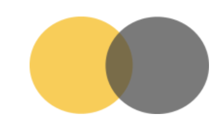
كحال عبد جان آبق من سيده، فأخذ فأحضر بين يديه، ولم يجد من ينجيه من سطوته، ولم يجد منه بدا ولا عنه غناء، ولا منه مهربا، وعلم أن حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه، وقد علم إحاطة سيده بتفاصيل جناياته، هذا مع حبه لسيده، وشدة حاجته إليه، وعلمه بضعفه وعجزه وقوة سيده، وذله وعز سيده.

فيجتمع من هذه الأحوال كسرة وذلة وخضوع، ما أنفعها للعبد وما أجدى عائدتها عليه! وما أعظم جبره بها، وما أقربه بها من سيده! فليس شيء أحب إلى سيده من هذه الكسرة، والخضوع والتذلل والإخبات والانطراح بين يديه، والاستسلام له.

فلله ما أحلى قوله في هذه الحال: أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه.



كتاب مدارج السالكين – ابن القيم –ج١ ص ٢٠٤

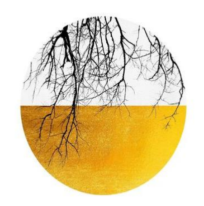


يا من ألـــــوذ به فيما أؤمــــله ... ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة، فمن لم يجد ذلك في قلبه فليتهم توبته وليرجع إلى تصحيحها، فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة، وما أسهلها باللسان والدعوى! وما عالج الصادق بشيء أشق عليه من التوبة الخالصة الصادقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأكثر الناس من المتنزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات في كبائر مثلها أو أعظم منها أو دونها، ولا يخطر بقلوبهم أنها ذنوب ليتوبوا منها، فعندهم من الإزراء على أهل الكبائر واحتقارهم، وصولة طاعاتهم، ومنتهم على الخلق بلسان الحال، واقتضاء بواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعاتهم، اقتضاء لا يخفى على أحد غيرهم، وتوابع ذلك ما هو أبغض إلى الله، وأبعد لهم عن بابه من كبائر أولئك،

فإن تدارك الله أحدهم بقاذورة أو كبيرة يوقعه فيها ليكسر بها نفسه، ويعرفه قدره، ويذله بها، ويخرج بها صولة الطاعة من قلبه، فهي رحمة في حقه، كما أنه إذا تدارك أصحاب الكبائر بتوبة نصوح، وإقبال بقلوبهم إليه، فهو رحمة في حقهم، وإلا فكلاهما على خطر.



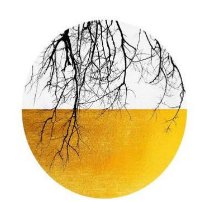
كتاب مدارج السالكين – ابن القيم – ج١ ص ٢٠٥



في المسند وغيره من حديث «الَّذِينَ يُدْلُونَ عَلَى اللَّهِ بِالْحُجَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَعْتُوهُ، وَالْأَصَمُّ وَالْمُتَوَفَّى فِي الْفَتْرَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُؤَجِّجُ لَهُمْ نَارًا وَيَقُولُ: اقْتَحِمُوهَا، فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنِ امْتَنَعَ جُرَّ إِلَيْهَا»(١)

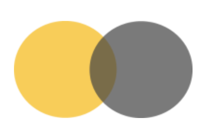
فهؤلاء لما آثروا مرضاته بالعذاب على مرضاة أنفسهم، وقام بقلوبهم أن رضاه في تعذيبهم أحب إليه من رضاهم في خلافه، استحالت النار في حقهم وانقلبت بردا وسلاما، وهذا أمر مشاهد في الواقع بين الناس، وهو في اقتضاء التوبة بدفعها.

فإن المذنب لو بلغت ذنوبه عنان السماء إذ ألقى نفسه بفناء من أساء إليه، وتوسد عتبة بابه، فوضع خده عليها مستسلما مسلما نفسه إليه ليقضي فيها ما أراد، راضيا بما يقضيه فيه، حامدا له عليه، عالما أن الحق له، وقد سلم إليه محل الحق يستوفيه منه، فإنه متى فعل ذلك أذهب ما في قلب من أساء إليه من الحنق والغيظ، وعاد مكان الغضب عليه رقة ورحمة، هذا مع حاجته وبلوغ أذاه، ووصوله إليه وقلة صبره وضعف احتماله، فكيف بالغني الحميد الذي لن يبلغ العباد ضره ولا نفعه، فلا تزيد عقوبتهم في ملكه شيئا وهو أرحم الراحمين.



كتاب مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – ابن القيم – ص ٢٦٦

(١) رواه الطبراني (٧٩ / ٢) بسند صحيح عن قتادة. وهو في المسند (٤ / ٢٤) وصحيح ابن حبان (١٨٢٧)



يجب على المسلم أن يجاهد نفسه حتى يمتثل الأوامر ويجتنب النواهي، فإذا زلت به القدم وترك الواجب أو فعل المحرم فالله تعالى لا يؤيسه من رحمته،

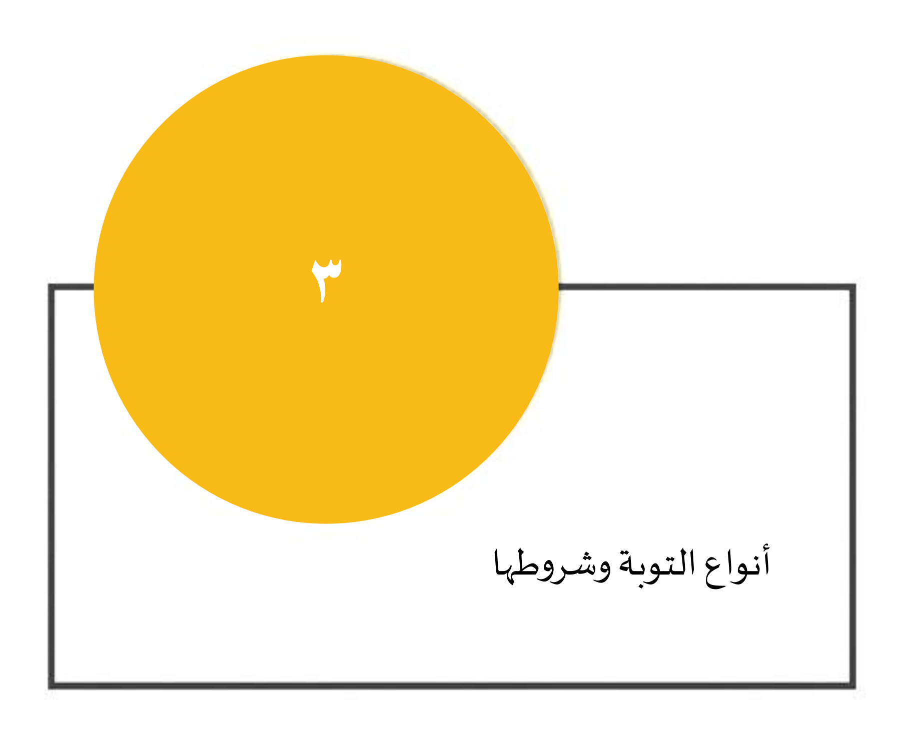
بل جعل أسبابا إذا فعلها سقطت هذه العقوبة، وكمل الواجب الذي أخل به، ورفعت العقوبة عن المحرم الذي فعله.

ولهذا قيل: إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا يجرئهم على معاصيه،
فلا يقول: إن من فعل المعصية أو الكبيرة هالك ولا حيلة له، كما تقول الخوارج إن من فعل الكبيرة كفر وخلد في النار،
بل يقول: إن الله جعل أسبابا ترفع العقوبة، فتب إلى الله من هذه المعصية، واستغفر، وافعل الحسنات، وهو كذلك.
لا يجرئهم على معاصي الله، فلا يقول: الأمر سهل وبسيط، ترك الواجب سهل، فعل المحرم سهل، التوبة تكفي والاستغفار يكفي،

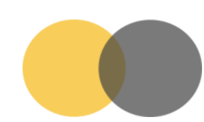
فلا نجرئ الناس على معاصي الله ولا نؤيسهم من رحمة الله.







أنواع التوبة وشروطها

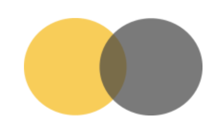


توبته على عبده نوعان:

أحدهما: أنه يوقع في قلب عبده التوبة إليه، والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها؛ من الإقلاع عن المعاصي، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها، واستبدالها بعمل صالح.

والثاني: توبته على عبده بقبولها وإجابتها، ومحو الذنوب بها، فإن التوبة النصوح تجب ما قبلها"





التوبة: هي الرجوع من معصية الله إلى طاعة الله.

وتقع كلية وجزئية:

كلية؛ بأن يتوب الإنسان من كل ذنب، ومنها توبة الكافر فإنها كلية، يمحو الله تعالى بها كل ما سلف من ذنبه، كما قال جل وعلا:

{قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال: ٣٨]. ويقول المسلم: (اللهم إني أستغفرك من جميع الذنوب، وأتوب إليك) هذه كلية.

التوبة الخاصة: أن يتوب من ذنب معين؛ كإنسان تاب من أكل الربا، لكنه مصر على شرب الخمر - والعياذ بالله - فهذه توبة خاصة جزئية ليست شاملة.

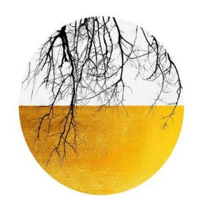


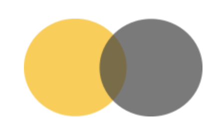


تختلف طبقات التائبين ورتبهم تبعا لاختلاف أحوالهم وتباينهم في أعمالهم، واصطحابهم التوبة إلى آخر العمر، واستقامتهم عليها، وهناك أربع مراتب للتائبين:

المرتبة الأولى: وهم الذين يستقيمون على التوبة إلى آخر لحظة في حياتهم، ولم تحدثهم أنفسهم بالعودة إلى الذنب، أو مقارفة الإثم، وهؤلاء هم أصحاب النفوس المطمئنة الذين اتصفوا بأعلى رتب التوبة؛ لأنهم سلكوا الطريق المستقيم، فلزموا طاعة الله، بالإتيان بما به أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وتخلوا عن كل معصية وخلق لا يرضى عنه رب العزة والجلال، وهذه أعلى رتب التائبين.

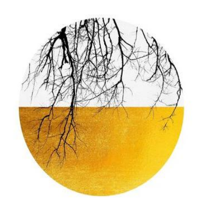
المرتبة الثانية: وهم الذين سلكوا طريق الاستقامة ولازموا التوبة طيلة حياتهم؛ إلا أنهم لا ينفكون عن ذنوب تعتريهم، أو سيئات تزينها لهم أنفسهم؛ لا عن قصد وعمد؛ بل كلما أقدموا على الذنوب لاموا أنفسهم وجددوا عزمهم وندموا على الشر؛ لم فعلوه! وندموا على الخير، لم لم يستكثروا منه! وهذه رتبة عالية، وإن كانت دون الأولى، وهي أغلب أحوال التائبين.

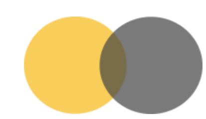




المرتبة الثالثة: وهم الذين يستمرون على التوبة مدة من الزمن، ثم ينزعون إلى المعاصي وتغلبهم الشهوات، فيخلطون عملا صالحا وآخر سيئا، ومع ذلك تؤنبهم أنفسهم على ما فرطوا، ويندمون على ما فعلوا، ويجدون في قهر أنفسهم؛ لكنما يغريهم التسويف في التوبة وطول الأمل، وهؤلاء على جانب عظيم من الخطورة؛ لاحتمال أن يوافيهم الأجل فيموتوا قبل أن يتوبوا، فيندموا ولات ساعة مندم.

المرتبة الرابعة: وهم الذين استقاموا على التوبة مدة ثم مالت أنفسهم الأمارة بالسوء إلى الطبيعة البدنية، وأغوتهم بالشهوات الحسية؛ فواقعوا الذنوب دون أن يحدثوا أنفسهم بالتوبة، وهؤلاء يخشى عليهم سوء الخاتمة إن هم تبعوا هوى أنفسهم وانقادوا لها غافلين عن المصير المحتوم؛ فالعاقل حسن الحظ من قمع نفسه عن غيها، وردها إلى طاعة ربها، ورجع إلى الصراط السوي، واهتدى بنور الكتاب المبين، وهدي سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم -.





التوبة تنقسم إلى قسمين: توبة الكذابين وتوبة الصادقين.

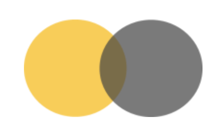
فتوبة الكذابين: هو الذي يتوب بلسانه، وقلبه معقود على المعصية مصر عليها، والتوبة لابد لها من شروط، فإذا وجدت الشروط صحت.

أسباب ثمانية للتوبة إذا وجدت فهي توبة الصادقين، وإلا فهي توبة الكذابين:

الشرط الأول: أن تكون التوبة لله، فبعض الناس يتوب لكن ليس لله، بل لأجل الدنيا، ولأجل بعض المقاصد: صلى المصلي لأمر كان يطلبه، فلما انقضى الأمر لا صلى ولا صاما، التوبة عبادة لابد أن تكون لله، والعبادة لا تصح إلا بشرطين: أن تكون خالصة لله، وأن تكون موافقة للشرع.

ثانيا: الإقلاع عن المعصية، ومعنى الإقلاع: ترك المعصية، فإذا كان يتعامل بالربا ترك الربا، أما أن يقول شخص: تبت من الربا، وهو يتعامل بالربا فهو كذاب، وكذلك من يعق والديه فيزعم أنه يتوب، وهو مستمر على عقوق الوالدين، فهذه ليست توبة، فيجب الإقلاع عن المعصية، والذي يأكل الرشوة ويقول: أنا تائب ولكنه مستمر على أكل الرشوة هذه ليست توبة، فالإقلاع يعني: ترك المعصية.





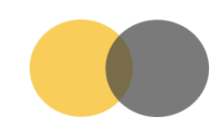
أسباب ثمانية للتوبة إذا وجدت فهي توبة الصادقين، وإلا فهي توبة الكذابين:

ثالثا: الندم على ما مضى، أن يندم ويتحسر ويتأسف.

الشرط الرابع: العزم الصادق الجازم على عدم العودة إليها مرة أخرى،

وبعض الناس يريد أن يتوب في رمضان خاصة، ولكنه ينوي أنه إذا خرج رمضان عاد إلى المعاصي، فهذه ليست توبة؛ لأنه ما صمم ولا عزم على عدم العودة إلى المعصية، بل هو يريد أن يرجع إلى المعصية، وهذه توبة مؤقتة.

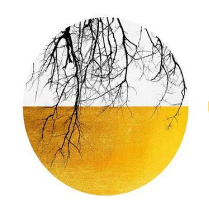




أسباب ثمانية للتوبة إذا وجدت فهي توبة الصادقين، وإلا فهي توبة الكذابين:

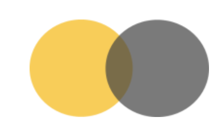
الشرط الخامس: رد المظلمة إلى أهلها إن كانت بينه وبين الناس، فإذا كانت المظلمة بينه وبين الناس كأن قتل شخصا بغير حق فعليه أن يسلم نفسه لأولياء القتيل: إما أن يقتلوه قصاصا، أو يأخذوا الدية، أو يعفوا عنه، أو إذا كان مالا يرد المال حتى يتوب، أو شخص سرق من مال شخص أو اختلسه فإن أراد أن يتوب لابد يرد المال إليه، وإذا كانت غيبة أو نميمة يستحلهم منها، فلابد من رد المظلمة إلى أهلها إذا كانت بينك وبين الناس.

الشرط السادس: أن تكون التوبة في وقت تقبل فيه، وهو قبل بلوغ الروح إلى الحلقوم بالنسبة للشخص الواحد، ففي الحديث: (إنَّ اللهَ يَقبَلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ) (١) أي: ما لم تصل الروح إلى الغرغرة، وبالنسبة لعموم الناس: ما لم تطلع الشمس من مغربها في آخر الزمان كما في الحديث: (لا تنقطِعُ الهجرةُ حتَّى تنقَطِعَ التَّوبةُ، ولا تنقطِعُ التَّوبةُ حتَّى تطلعَ الشَّمسُ مِن مغرِبِها) (٢)
فإذا طلعت الشمس من مغربها انتهى الأمر وكل يبقى على ما كان، المؤمن على إيمانه، والكافر على كفره، قال الله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام:١٥٨] جاء في تفسير الآية: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام:١٥٨]: أنها طلوع الشمس من مغربها.



شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية – عبد العزيز بن عبد الله الراجحي – ج ١٤ ص ٦

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وأحمد (٦١٦٠)
(٢) صحيح أبي داود (٢٤٧٩)



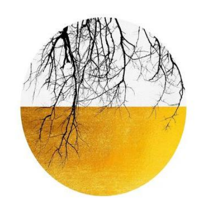
أسباب ثمانية للتوبة إذا وجدت فهي توبة الصادقين، وإلا فهي توبة الكذابين:

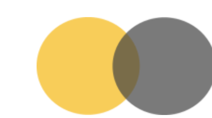
والسابع: أن تكون قبل بلوغ الروح إلى الحلقوم.

الثامن: أن تكون قبل نزول العذاب، فإذا نزل العذاب لم تقبل، قال الله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ} [غافر:٨٤]، قال الله: {فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} [غافر:٨٥].

ففرعون آمن لكن بعد نزول العذاب فما نفعه، قال الله تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًاحَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس:٩٠]، وفرعون هو الذي يقول للناس: {أنا ربكم الأعلى} [النازعات:٢٤] قال: {آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس:٩٠]، لكن في وقت لا ينفع فيه الإيمان، قال الله: {آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً} [يونس:٩١ - ٩٢]؛ لأنه لابد أن يكون قبل نزول العذاب، إلا طائفة من الناس استثناهم الله لما نزل العذاب تابوا ونفعتهم التوبة، وهم قوم يونس، قال الله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ} [يونس:٩٨]، لما أخبرهم نبيهم بأن العذاب نازل بهم، ورأوا أسبابه تابوا فتاب الله عليهم، وجاءهم نبيهم فآمنوا،

قال الله: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ} [الصافات:١٤٧ - ١٤٨].





للتوبة شروط خمسة:

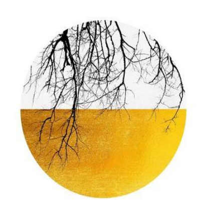
الأول: الإخلاص لله.

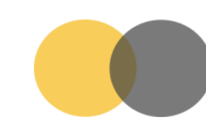
والثاني: الندم على ما فعل.

والثالث: الإقلاع عنه.

والرابع: العزم على ألا يعود.

والخامس: أن تكون التوبة قبل غلق الأبواب.





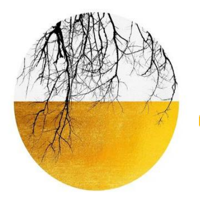
للتوبة شروط خمسة:

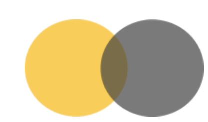
الأول: الإخلاص:

بأن يكون الحامل على التوبة خوف الله عز وجل، ورجاء التقرب إليه؛ بألا يقصد بذلك دنيا ولا جاها ولا شيئا من مخلوقات الله عز وجل، لا يريد إلا الوصول إلى رضا الله عز وجل ودار كرامته، والإخلاص شرط في كل عمل.

الثاني: الندم على ما مضى من الذنب؛

بحيث يشعر الإنسان بالحزن والتأثر كيف وقع منه هذا الذنب، والندم هو انفعال في النفس يحصل بفعل الإنسان وبغير فعله، لكن كلامنا في الندم بالتوبة الذي يكون بفعل، بمعنى أنه يتحسر ويتأسف أن وقع منه الذنب، ولا يكون حاله كحال من لم يذنب.

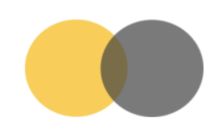




للتوبة شروط خمسة:

الثالث: الإقلاع عن الذنب، فإن كان معصية في محرم فليجتنبه، وإن كان إفراطا في واجب فليفعله،
وعلى هذا فمن زعم أنه تائب من الغيبة ولكنه لا يدع فرصة تحصل فيها الغيبة إلا اغتاب، فلا نقول: إنه تائب؛ لأنه لم يقلع. كذلك من جحد مال شخص وأنكره وقال: إنه تائب فلا بد أن يرد المال إلى صاحبه، وإلا فلا تقبل توبته.
ومن اغتاب شخصا؛ أي: ذكره بما يكره في غيبته فلا بد أن يقلع عن ذلك، ويتحلل صاحب الغيبة، يذهب إليه ويقول: سامحني، حللني، فقد قلت فيك قولا قد تبت منه، لا بد من هذا،
فإن قال: إن ذهبت إليه أستحله أخشى أن يظن الأمر أكبر مما قلت تقع العداوة!
فالجواب: وإن كان كذلك أنت أبرئ ذمتك. وكونه يترتب على ذلك عداوة، أو ما أشبه ذلك ليس إليك، نعم لو أن صاحبك لم يعلم بغيبتك إياه، فهنا يكفي أن تندم وتقلع عن غيبته في المستقبل، وتذكره في المجلس الذي اغتبته فيه بما له من صفات حميدة.



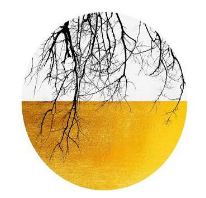


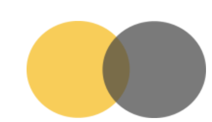
للتوبة شروط خمسة:

الرابع: العزم على ألا يعود،
بأن يقع في قلبه أنه لن يعود لهذه المعصية، فإن كان تاب لكنه متردد فيما لو تيسرت له هذه المعصية أيفعلها أم لا. فالتوبة غير صحيحة، لا بد أن يعزم على ألا يعود، فإن عاد - يعني عزم ألا يعود ثم عاد بعد ذلك - هل تبطل التوبة؟

الجواب: لا تبطل، التوبة الأولى صحيحة، لكن عليه أن يجدد التوبة للذنب الثاني،

ولهذا كانت العبارة العزم على ألا يعود، وليست العبارة بشرط ألا يعود، وبينهما فرق، إذا قلنا: عزم على ألا يعود وعزم ألا يعود ثم عاد فالتوبة الأولى صحيحة، لكن عليه أن يجدد التوبة للذنب الثاني، أما إذا قلنا: بشرط ألا يعود فهذا يقتضي أنه لو عاد لبطلت التوبة، وليس كذلك.

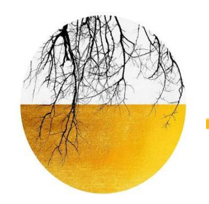




للتوبة شروط خمسة:

الشرط الخامس - وما أعظمه -: أن تكون التوبة في زمن الإمكان؛ فإن فات الأوان لم تقبل، وفوات الأوان عام وخاص: العام طلوع الشمس من مغربها، والخاص حضور الموت،
أما الأول فدليله قول الله تبارك تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: ١٥٨]. فسر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بعض الآيات بأنها الشمس تطلع من مغربها. وقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (لا تنقطِعُ الهجرةُ حتَّى تنقَطعَ التَّوبةُ، ولا تنقطِعُ التَّوبةُ حتَّى تطلعَ الشَّمسُ مِن مغربِها) (١)

أما الخاص فهو حضور الأجل، فإنه إذا حضر الموت لم تقبل التوبة؛ لقول الله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} [النساء: ١٨]. الشاهد قوله: {حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ} وهذا الشرط يستلزم أن تكون التوبة على الفور بدون تأخير، وجه ذلك: أنه لا يعلم متى يأتيه الموت، فقد يموت بغتة على فراشه، أو على كرسيه أو وهو ساجد أو راكع، وحينئذ يتبين أن التوبة واجبة على الفور، فاستدرك نفسك أيها العبد، إن كان في أمر بينك وبين الله، أو بينك وبين الخلق؛ لأنك لا تدري متى يأتي الموت.



كتاب تفسير سورة الشورى – محمد بن صالح العثيمين – ص٢٢٢
(١) صحيح أبي داود (٢٤٧٩)



إن قال قائل: ألم يعرض النبي - صلى الله عليه وسلم - التوبة على عمه في سياق الموت؟

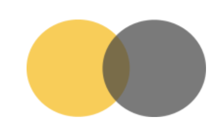
قلنا: بلى، لكن الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - عرض عليه ذلك وقال: "كَلِمَةً أُحاجُّ لكَ بها عِنْدَ اللهِ"(١)

يعني: أنه لم يجزم بأنها تنفعه، بل قال: أحاج لك، والمحاجة قد تنفع وقد لا تنفع.



كتاب تفسير سورة المائدة – محمد بن صالح العثيمين – ج٢ ص٢١٥

(١) أخرجه البخاري (٦٦٨١) واللفظ له، ومسلم (٢٤)



قال الزرعي في «شرح المنازل» :

النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

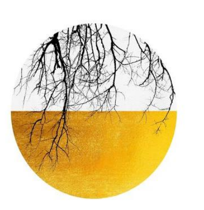
أحدها تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنباً إلا تناولته.
والثاني إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوّم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادراً بها.

والثالث تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله تعالى وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ جاهه أو حرفته أو منصبه، أو لحفظ حاله أو ماله، أو استدعاء حمد الناس أو الهرب من ذمهم، أو نحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله تعالى، فالأول يتعلق بما يتوب منه، والثالث بما يتوب إليه، والأوسط يتعلق بذات التائب نفسه.

ولا ريب أن التوبة الجامعة لما ذكر تستلزم الغفران وتتضمنه وتمحق جميع الذنوب، وهي أكمل ما يكون من التوبة.



كتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين – محمد علي بن محمد بن علان – ج١ ص ٩٤



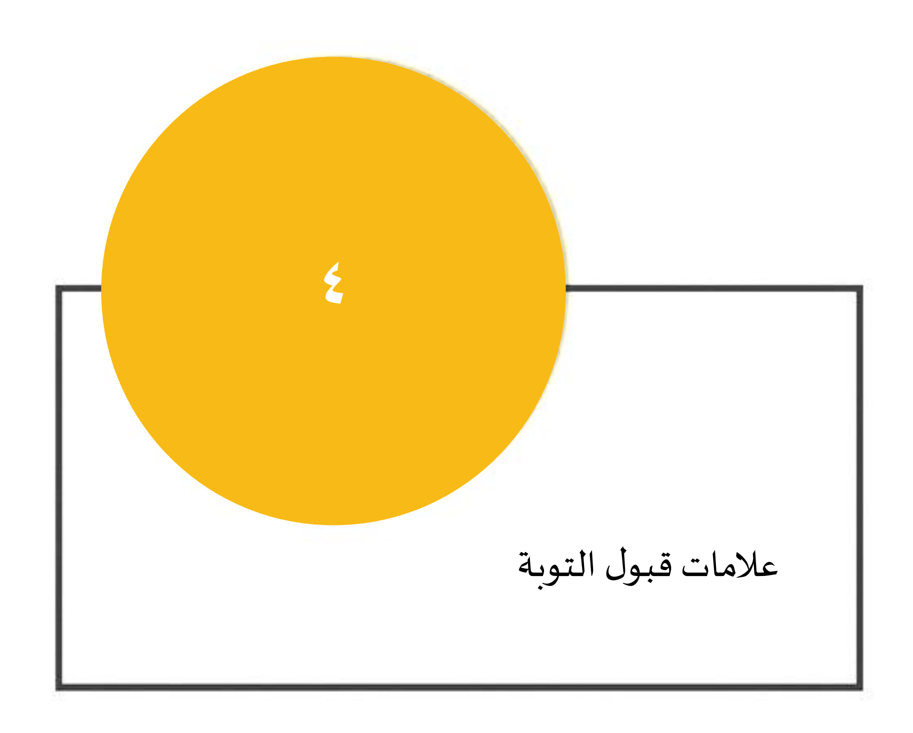
قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ

"إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا"

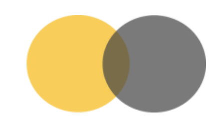
الراوي : أبو موسى الأشعري - صحيح مسلم (٢٧٥٩)

أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده (٥/ ٥٤٥) برقم (٣٥٣٥).





علامات قبول التوبة

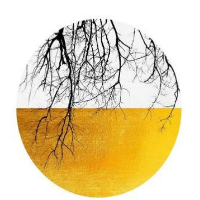


التوبة المقبولة الصحيحة لها علامات:

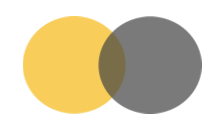
منها: أن يكون بعد التوبة خيرا مما كان قبلها.

ومنها: أنه لا يزال الخوف مصاحبا له لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه {أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠] فهناك يزول الخوف.

ومنها: انخلاع قلبه وتقطعه ندما وخوفا، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها، وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالى {لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة: ١١٠]. قال: تقطعها بالتوبة.
ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه، وهذا هو تقطعه، وهذا حقيقة التوبة، لأنه يتقطع قلبه حسرة على ما فرط منه، وخوفا من سوء عاقبته، فمن لم يتقطع قلبه في الدنيا على ما فرط حسرة وخوفا، تقطع في الآخرة إذا حقت الحقائق، وعاين ثواب المطيعين، وعقاب العاصين، فلا بد من تقطع القلب إما في الدنيا وإما في الآخرة.

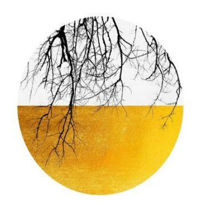




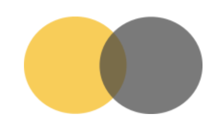


من علامات قبول التوبة:

أن الإنسان يكره المعصية التي تاب منها، ويُقبل على الطاعة، ويجد في نفسه انشراحًا في صدره، ونورًا في قلبه، ومحبة لطاعة الله سبحانه وتعالى.



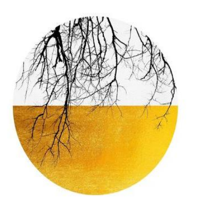
فتاوى – باب الذنوب والمعاصي والتوبة – محمد بن صالح العثيمين – سؤال على الهاتف س ٢٢٧٣

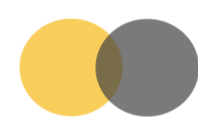


استقامة العبد بعد التوبة، وسيره على المنهج القويم إن كان لا يصلي؛ استمر في الصلاة، وإن كان لا يصوم؛ استمر في الصوم،

وإن كان عاقًا لوالديه؛ استمر في بر الوالدين، إذا استمر على هذا؛ فهذه علامة الخير،

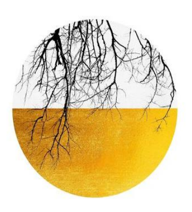
مثلما أن الإنسان بعد رمضان إذا استمر في الخير، هذه علامات أن الله قبل صيامه، وإذا انحرف؛ فهذه علامات عدم التوفيق.



من أقوى علامات صدقه في التوبة:

محبة الله ورسوله، ومحبة المؤمنين فيه، والإتيان من العمل بما تقتضيه هذه المحبة.





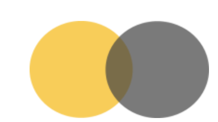
قال بعضهم لشيخه: إني أذنب، قال: تب، قال: ثم أعود، قال: تب، قال: ثم أعود، قال: تب، قال: إلى متى؟ قال: إلى أن تحزن الشيطان، أي: استمر.

وهذا كما جاء في الحديث لما وقع العبد في الذنب قال: (أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وتَعالَى: أذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ، فَقالَ: أيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وتَعالَى: عَبْدِي أذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويَأْخُذُ بالذَّنْبِ) (١)

وهكذا ثم قال في آخر الحديث: («فَلْيعَمَلْ ما شاءَ») أي: أنه كلما أذنب تاب، والمعنى: أن التوبة مقبولة إذا تاب توبة نصوحا، وليس معنى ذلك: أنه أذن له بالمعاصي.



(١) صحيح البخاري (٧٥٠٧)



التوبة النصوح:

إذا تاب الإنسان توبة نصوحا فإن الله تعالى يقبل منه مهما عظم الذنب، دليل ذلك قوله تبارك وتعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر:٥٣].

وهذه عامة ليس فيها تفصيل، أن من تاب من أي ذنب فإن الله يتوب عليه، وقال تعالى في التفصيل: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)} [الفرقان:٦٨-٧٠]

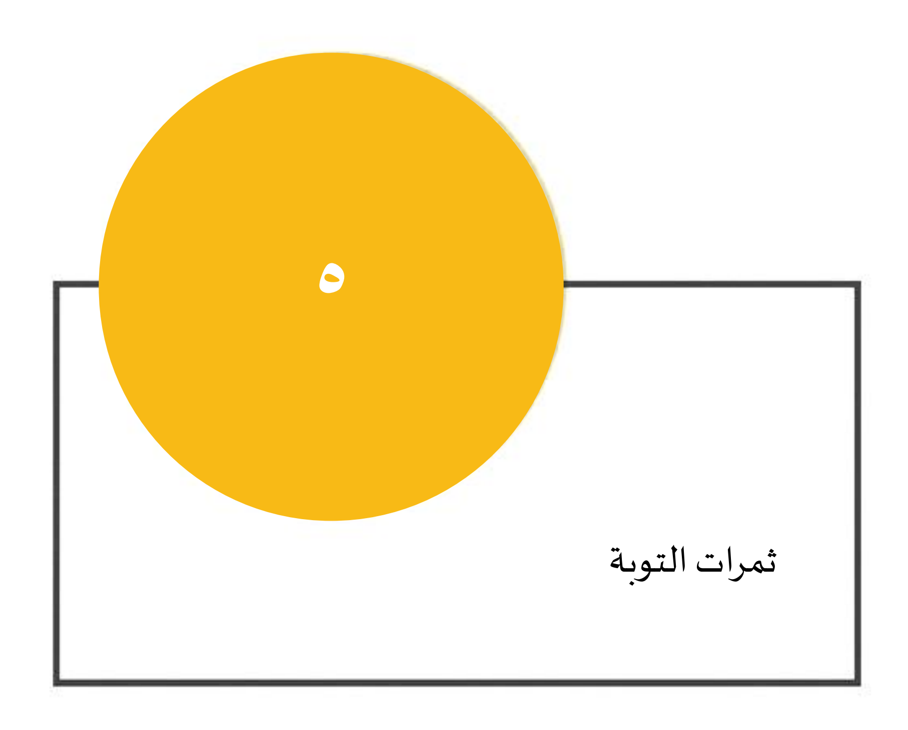
فالذنب مهما عظم إذا تاب الإنسان منه توبة نصوحا غفره الله عز وجل، فهنا تجد أن الله تعالى ذكر الشرك، وقتل النفس بغير حق، والزنى، وكلها عدوان عظيم: الأول عدوان في حق الخالق عز وجل، والثاني عدوان على النفس في حق المخلوق، والثالث عدوان على العرض في حق المخلوق، ومع ذلك إذا تاب الإنسان وآمن وعمل عملا صالحا بدل الله سيئاته حسنات.

ألم تر إلى قوم كانوا مشركين مضادين لدعوة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهداهم الله وتابوا وصاروا من قادة الأمة الإسلامية، ولكن إذا كانت المعصية في حق مخلوق فلابد من إيصال الحق إلى أهله، فلو سرق الإنسان مال شخص وتاب من السرقة تاب الله عليه، لكن لابد أن يعيد المال إلى مالكه؛ لأنها لا تتم التوبة فيما يتعلق بحق المخلوق إلا برد الحق إلى أهله.

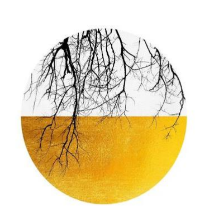


كتاب فتاوى نور على الدرب – محمد بن صالح العثيمين – ج٤ ص ٢


شبكة
الألوكة


٥
ثمرات التوبة



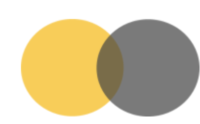


قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ

"مَن تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عليه"

الراوي : أبو هريرة - أخرجه مسلم (٢٧٠٣)

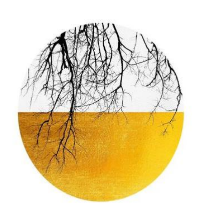
صححه الألباني في صحيح الجامع

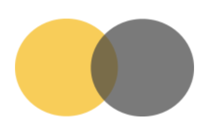


إذا تاب الإنسان إلي ربه حصل بذلك فائدتين:

الفائدة الأولى: امتثال أمر الله ورسوله؛ وفي امتثال أمر الله ورسوله كل الخير، فعلى امتثال أمر الله ورسوله تدور السعادة في الدنيا والآخرة.

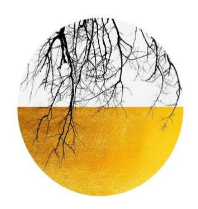
والفائدة الثانية: الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم. حيث كان صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يتوب إلي الله في اليوم مائة مرة؛ يعني: يقول: أتوب إلى الله، أتوب إلى الله.





إذا أراد الله بعبده خيرا فتح له بابًا من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستغاثة به وصدق اللجأ إليه، ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته، حتى يقول عدو الله: يا ليتني تركته ولم أوقعه.

وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار، قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه، خائفا منه مشفقا وجلا باكيا نادما، مستحيا من ربه تعالى، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له؛ فيكون ذلك الذنب سبب سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة؛ بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة.





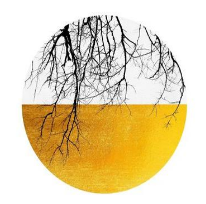
إنه سبحانه إذا كان يحب أمورا، وتلك الأمور المحبوبة لها لوازم يمتنع وجودها بدونها، كان وجود تلك الأمور مستلزما للوازمها التي لا توجد بدونها،

مثاله محبته للعفو والمغفرة والتوبة، فهذه المحبوبات تستلزم وجود ما يعفو عنه ويغفره ويتوب إليه العبد منه، ووجود الملزوم بدون لازمه محال،

فلا يمكن حصول محبوباته سبحانه من التوبة والعفو والمغفرة، بدون الذي يتاب منه ويغفره ويعفو عنه،

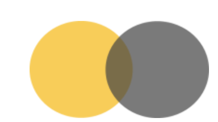
ولهذا قال النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "«لوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ» (١)

وهذا هو الذي وردت الأحاديث الصحيحة بالفرح به، وهذا المفروح به يمتنع وجوده قبل الذنب فضلا من أن يكون، فهذا المفروح به يحب تأخره قطعا.



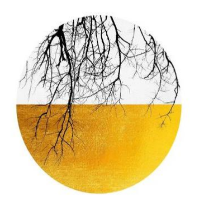
كتاب مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – ابن القيم – ص ٢١٨

(١) صحيح مسلم (٢٧٤٩)

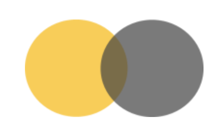


قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن أَحَدِكُمْ كانَ علَى رَاحِلَتِهِ» (١) الحديث: متفق عليه
هذا فرح جود وإحسان؛ لأنه جل جلاله ينوع جوده وكرمه على عباده في جميع الوجوه، ويحب من عباده أن يسلكوا كل طريق يوصلهم إلى رحمة الله وإحسانه، ويكره لهم ضد ذلك،
فإنه تعالى جعل لرحمته وكرمه أسبابا بينها لعباده، وحثهم على سلوكها، وأعانهم عليها، ونهاهم عما ينافيها ويمنعها، فإذا عصوه وبارزوه بالذنوب فقد تعرضوا لعقوباته التي لا يحب منهم أن يتعرضوا لها، فإذا رجعوا إلى التوبة والإنابة فرح بذلك أعظم فرح يقدر.

فإنه ليس في الدنيا نظير فرح هذا الذي في أرض فلاة مهلكة، وقد انفلتت منه راحلته التي عليها مادة حياته من طعام وشراب وركوب، فأيس منها، وجلس ينتظر الموت، فإذا هو بها واقفة على رأسه، فأخذ بحطامها، وكاد الفرح أن يقضي عليه، وقال من الدهشة وشدة الفرح: "اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ"
فتبارك الرب الكريم الجواد الذي لا يحصى العباد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده.



كتاب التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة – عبد الرحمن السعدي – ص٥٩
(١) صحيح مسلم (٢٧٤٧)



سأل حكيم بن حزام رضى الله عنه النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن عتاقة وصلة وبر فعله في الشرك: هل يثاب عليه؟ فقال النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

" أسْلَمْتَ علَى ما أسْلَفْتَ مِن خَيْرٍ" (١)

فهذا يقتضي أن الاسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك، فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة.

فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحًا صادقة خالصة، أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعادت عليه ثواب حسناته.

يوضح هذا أن السيئات هي أمراض قلبية، كما أن الحمى والاوجاع أمراض بدنية، والمريض إذا عوفي من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها، حتى كأنه لم يضعف قط.



كتاب الوابل الصيب – ابن القيم – ج١ ص ١٢
(١) صحيح مسلم (١٢٣)



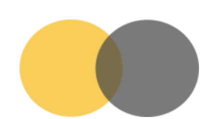
معلوم أن كثرة التوبة تستلزم كثرة الذنب، ومن هنا نفهم بأن الإنسان مهما كثر ذنبه، إذا أحدث لكل ذنب توبة، فإن الله تعالى يحبه،

والتائب مرة واحدة من ذنب واحد محبوب إلى الله عز وجل من باب أولى،

لأن من كثرت ذنوبه وكثرت توبته يحبه الله، فمن قلت ذنوبه كانت محبة الله له بالتوبة من باب أولى.



كتاب شرح العقيدة الواسطية – محمد بن صالح العثيمين – ج ١ ص٢٣٢



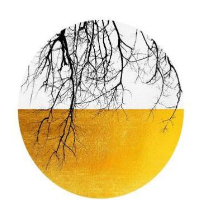
التوبة يمحو الله بها ما مضى من الذنوب، الحد يكفر الله به السيئة، إقامة الحد تكفيه، والتوبة تكفيه،

فإذا تاب توبة نصوحًا؛ كفر الله عنه الذنب وإن لم يقام عليه الحد، فحصل له الستر والعافية والحمد لله؛ لقول النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "التوبةُ تَجبُّ ما كان قبلَها"(١)

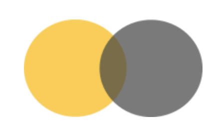
ويقول سبحانه: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر:٥٣]

أجمع العلماء -رحمة الله عليهم- على أن هذه الآية في التائبين: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} [الزمر:٥٣] يعني: بالذنوب والمعاصي أو بالشرك

{لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر:٥٣] ينهاهم عن القنوط واليأس من رحمة الله، ثم يقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر:٥٣] يعني: للتائبين.



الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله – فضل التوبة وشروطها – فتاوى نور على الدرب
(١) مجموع فتاوى ابن باز ٦/٢٩٧ صحيح - الألباني (السلسلة الضعيفة ١٠٣٩ - لا أعلم له أصلا)



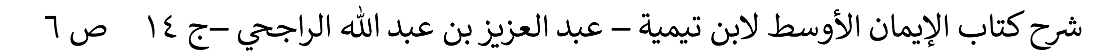
التوبة تسقط بها عقوبة الذنب، وهذا بإجماع المسلمين وليس فيه خلاف، والتوبة عامة في كل ذنب صغير أو كبير،

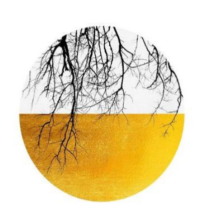
حتى من الكفر ومن النصرانية واليهودية والمجوسية،

فإذا تاب من الزنا والسرقة وشرب الخمر وعقوق الوالدين والتعامل بالربا تاب الله عليه، وسقطت عنه عقوبة الذنب في الدنيا والآخرة،

وسلم من شره في الدنيا والآخرة، لكن بشرط أن تكون التوبة نصوحا، ليس كل من ادعى التوبة يكون تائبا.







"إن الذم والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء أصلا؛

لكن إن قدم التوبة لم يلحقه شيء،

وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب حاله.

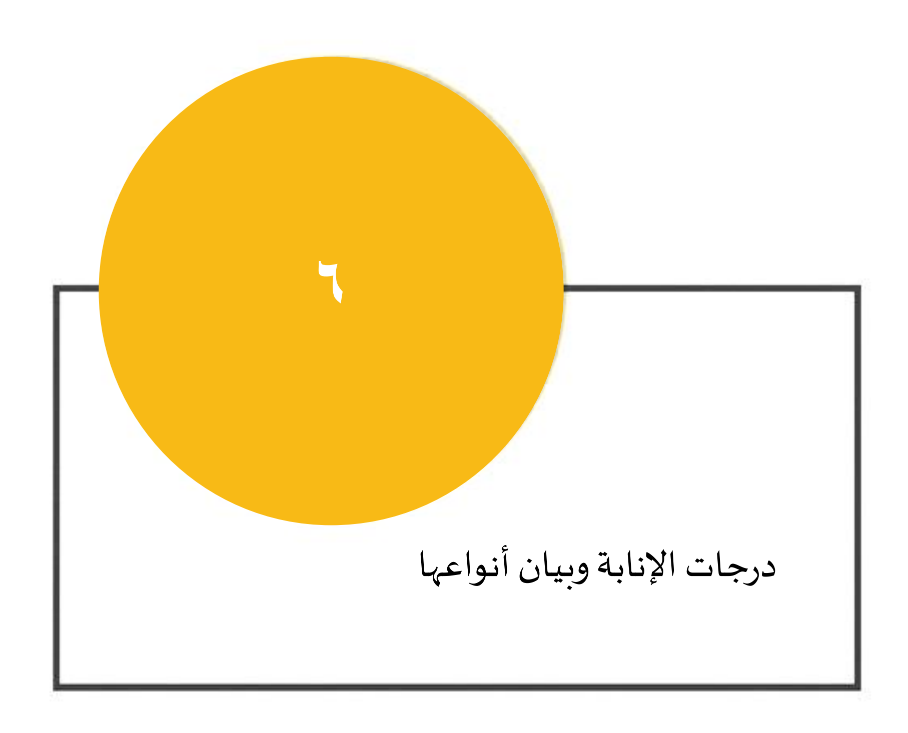
والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخرون التوبة،

بل يسارعون إليها ويسابقون إليها؛ لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب، بل هم معصومون من ذلك"

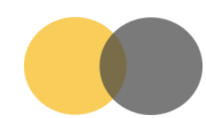
ابن تيمية ((مجموع الفتاوى)) (١٠/٣٠٩)







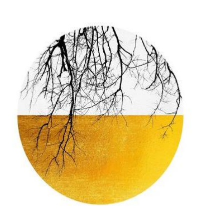
درجات الإنابة وبيان أنواعها



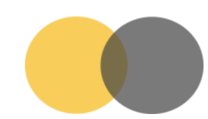
أثنى الله سبحانه وتعالى على المنيبين عليه، كما في قوله تعالى: {فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص: ٢٤]

فالإنابة من أفضل الأحوال للعابدين؛ لأن المنيب إلى الله سبحانه وتعالى دائما يذكر الله بقلبه، لأنه يعلم أنه قد انتقل من معصيته إلى طاعته،

ومن الإشراك به إلى توحيده؛ حتى يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.



كتاب تفسير سورة الروم – محمد بن صالح العثيمين – ص ١٨٦



الإنابة إلى الله إنابتان:

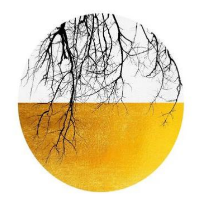
الأولى: إنابة إلى ربوبيته؛ وهي إنابة المخلوقات كلها، المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٣].

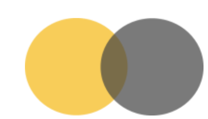
والثانية: إنابة أوليائه؛ وهي: إنابة لألوهيته، إنابة عبودية ومحبة.

وهي تتضمن أربعة أمور: محبته والخضوع له والإقبال عليه والإعراض عما سواه، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع،

وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك.

وفي اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم، والمنيب إلى الله المسرع إلى مرضاته، الراجع إليه كل وقت، المتقدم إلى محابه.



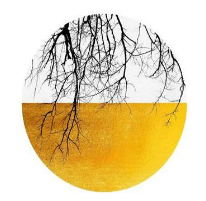


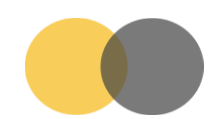
الناس في إنابتهم على درجات متفاوتة؛

فمنهم المنيب بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي، وهذه الإنابة مصدرها مطالعة الوعيد، والحامِل عليها العلم والخشية والحذر.

ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقُرُبات، فهو ساعٍ فيها بجهده، وقد حُبِّب إليه فعل الطاعات، وأنواع القُرُبات، وهذه الإنابة مصدرها الرجاء، ومطالعة الوعد والثواب، ومحبَّة الكرامة من الله.
وهؤلاء أبسط نفوسًا من أهل القسم الأول، وأشرح صدورًا، وجانب الرجاء ومطالعة الرحمة والمِنَّة أغلب عليهم، وإلَّا فكُلّ واحدٍ من الفريقين منيب بالأمرين جميعًا؛ ولكن خوف هؤلاء اندرج في رجائهم، فأنابوا بالعبادات، ورجاء الأوَّلين اندرج تحت خوفهم، فكانت إنابتهم بترك المخالفات.

ومنهم المنيب إلى الله بالتضرُّع والدعاء والافتقار إليه والرغبة وسؤال الحاجات كلها منه، ومصدر هذه الإنابة: شهود الفضل، والمِنَّة والغِنى والكَرم والقدرة، فأنزلوا به حوائجهم، وعَلَّقوا به آمالهم،





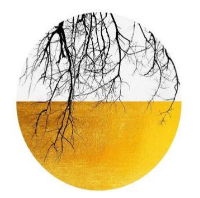
الناس في إنابتهم على درجات متفاوتة؛

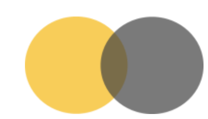
ومنهم المنيب عند الشدائد والضرَّاء فقط إنابة اضطرار، لا إنابة اختبار؛ كحال الذين قال الله فيهم:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]

وهؤلاء كلهم قد تكون نفس أرواحهم ملتفتة عن الله سبحانه معرضة عنه إلى مألوف طبيعي نفساني،

قد حال بينها وبين إنابتها بذاتها إلى معبودها وإلهها الحق، فهي ملتفتة إلى غيره، ولها إليه إنابة ما بحسب إيمانها به، ومعرفتها له.





الناس في إنابتهم على درجات متفاوتة؛

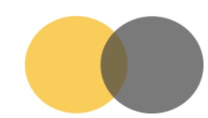
فأعلى أنواع الإنابة **إنابة الروح** بجملتها إليه؛ لشدة المحبة الخالصة الغنية لهم عما سوى محبوبهم ومعبودهم، وحين أنابت إليه أرواحهم لم يختلف منهم شيء عن الإنابة، فإن الأعضاء كلها رعيتها وملكها تبع للروح، فلما أنابت الروح بذاتها إليه إنابة محب صادق المحبة ليس فيه عرق ولا مفصل إلا وفيه حب ساكن لمحبوبه.

أنابت جميع القوى والجوارح: **فأناب القلب** أيضا بالمحبة والتضرع والذل والانكسار.

و أناب العقل بانفعاله لأوامر المحبوب ونواهيه، وتسليمه لها، وتحكيمه إياها دون غيرها، فلم يبق فيه منازعة شبهة معترضة دونها، وأنابت النفس بالانقياد والانخلاع عن العوائد النفسانية والأخلاق الذميمة والإرادات الفاسدة، وانقادت للأمر خاضعة له وداعية فيه، مؤثرة إياه على غيره، فلم يبق فيها منازعة شهوة تعترضها دون الأمر، وخرجت عن تدبيرها واختيارها تفويضا إلى مولاها ورضى بقضائه وتسليما لحكمه.

وقد قيل: إن تدبير العبد لنفسه هو آخر الصفات المذمومة في النفس.



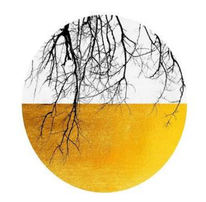


الناس في إنابتهم على درجات متفاوتة؛

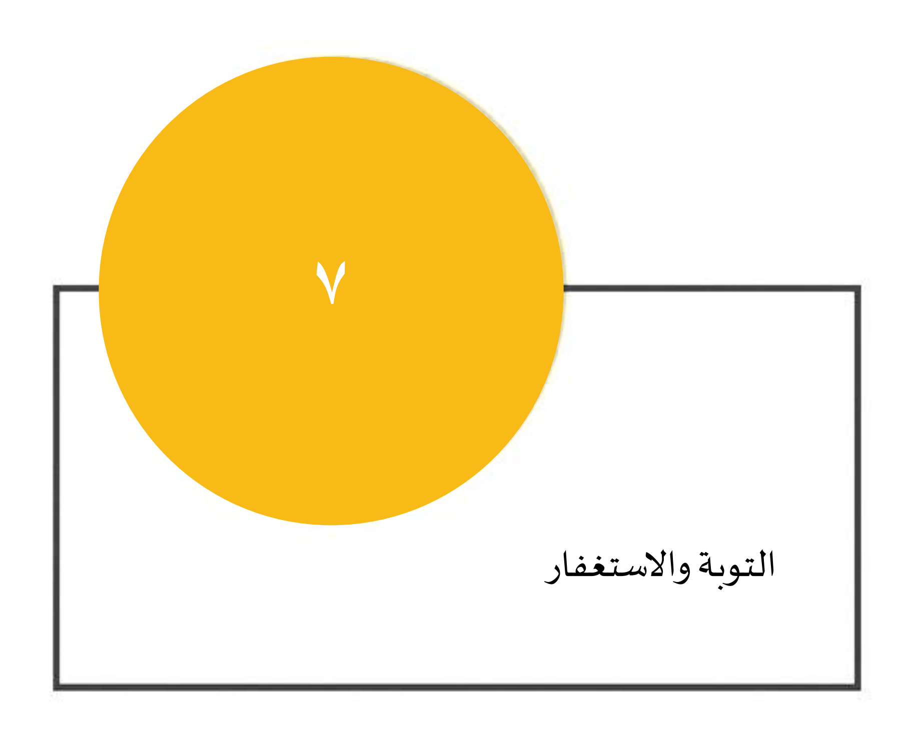
و أناب الجسد بالأعمال والقيام بها فرضها وسننها على أكمل الوجوه. وأنابت كل جارحة وعضو إنابتها الخاصة، فلم يبق من هذا العبد المنيب عرق ولا مفصل إلا وله إنابة ورجوع إلى الحبيب الحق الذى كل محبة سوى محبته عذاب على صاحبها، وإن كانت عذبة فى مباديها فإنها عذاب فى عواقبها، فإنابة العبد ولو ساعة من عمره هذه الإنابة الخالصة أنفع له وأعظم ثمرة من إنابة سنين كثيرة من غيره، فأين إنابة هذا من إنابة من قبله؟

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، بل هذه روحه منيبة أبدا، وإن توارى عنه شهود إنابتها باشتغال فهي كامنة فيها كمون النار فى الزناد.

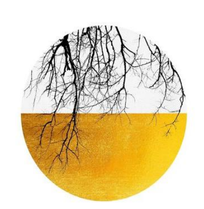
وأما أصحاب الإنابات المتقدمة فإن أناب أحدهم ساعة بالدعاء والذكر والابتهال فلنفسه وروحه وقلبه وعقله التفاتات عمن قد أناب إليه، فهو ينيب ببعضه ساعة ثم يترك ذلك مقبلاً على دواعي نفسه وطبعه.







التوبة والاستغفار



روى عبد الملك بن الأصبهاني، عمن حدثه عن الربيع بن خثيم أنه قال لأصحابه:

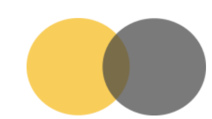
تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟

قالوا: لا.

قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود"

ابن الجوزي ((كتاب صفة الصفوة)) (٢/٣٦)





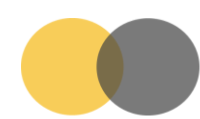
الاستغفار النافع المثمر هو الذي يكون معه الندم، والإقلاع من المعصية، والعزم الصادق أن لا يعود فيها،

هذا يسمى استغفار، ويسمى توبة، وهو المراد في قوله جل وعلا:

{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ *أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].



الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله – الفرق بين التوبة والاستغفار – فتاوى نور على الدرب



في التوبة والاستغفار معنى لطيف؛ وهو استدعاء محبة الله.

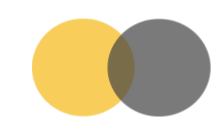
لا جرم جرى عليها السلف والخلف، والأنبياء أكثروا منها، ومن الاستغفار، والأوبة والإنابة في كل حين،

والبراءة من الحوبة استدعاء للمحبة، والاستغفار فيه معنى التوبة قال:

قال {لَقَدْ تَابَ اللهُ على النَّبِيِّ} [التوبة: ١١٧]. {وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: ٣].



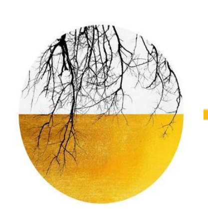
كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح – ابن الملقن – ج٢٩ ص٢٠٣



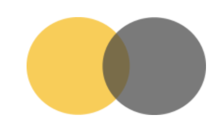
كان صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق استغفارا، وكانوا يعدون عليه في المجلس الواحد مائة مرة: " «رَبِّ اغفِرْ لي وتُبْ عليَّ، إنَّكَ أنت التوَّابُ الرحيمُ» "(١)
وكان يقول: " «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلى اللهِ، فإنِّي أَتُوبُ إليه وفي لفظ إنّي لأستغفرُ اللَّهَ في اليومِ والليلة أكثرَ مِن سَبعينَ مرَّةً» (٢)
وكان «إذا سلم في صلاته استغفر ثلاثا» ، وكان «يقول بين السجدتين: " رب اغفر لي» ".

وكان «يقول في سجوده: " رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي وجَهْلِي، وإسْرَافِي في أمْرِي كُلِّهِ، وما أنْتَ أعْلَمُ به مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطَايَايَ، وعَمْدِي وجَهْلِي وهَزْلِي، وكُلُّ ذلكَ عِندِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، أنْتَ المُقَدِّمُ وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وأَنْتَ علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ» "(٣)

وكان يستغفر في استفتاح الصلاة وفي خاتمة الصلاة، وعلم أفضل الأمة أن يستغفر في صلاته ويعترف على نفسه بظلم كثير، وقد قال تعالى: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد: ١٩]، وَقَالَ: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: ٢]
فأهل السماوات والأرض محتاجون إلى مغفرته كما هم محتاجون إلى رحمته، ومن ظن أنه يستغني عن مغفرة الله فهو كمن ظن أنه مستغن عن رحمته فلا يستغني أحد عن مغفرته ورحمته، كما لا يستغني عن نعمته ومنته، فلو أمسك عنهم فضله ومنته ورحمته لهلكوا وعذبوا، ولم يكن ظالما، وحينئذ فتصيبهم النقمات بإمساك فضله، وكل نقمة منه عدل.

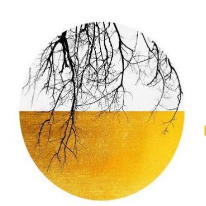


كتاب مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – ابن القيم – ص ٢٤٧
(١) أخرجه أبو داود (١٥١٦) واللفظ له، والترمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) بنحوه
(٣) صحيح البخاري (٦٣٩٨)



إذا كان الاستغفار مع التوبة فهذا عام في كل شخص، وعام في كل معصية،
لكن قد يوجد استغفار بدون توبة وينفع، ولكن هذا في حق بعض الناس دون البعض،
وبعض الناس يستغفر ولم يتب، لكن يحصل له عند الاستغفار من الخشية والإنابة ما يمحو الله به خطيئته بسبب ما قارن الاستغفار من الانكسار والخشية والإنابة إلى الله كما في حديث البطاقة.

وحديث البطاقة (١) حديث مشهور، وهو أرجى حديث لأهل السنة والجماعة، وهو أرجى حديث للعصاة،
وخلاصته: (أنه يؤتى يوم القيامة برجل فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر سيئات، فيقول الله: أتنكر من هذا شيئا؟ قال: لا والله يا رب، فيقول الله: هل لك حسنة يقول: لا والله ما أذكر شيئا يا رب، فيقول الله: بلى فإنك لا تظلم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فتوضع البطاقة التي فيها الشهادتان في كفة وتوضع السجلات في كفة، فثقلت البطاقة وطاشت السجلات فغفر الله له)،
فرجحت البطاقة التي فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وخفت بطاقة السيئات، فغفر الله له.



شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية – عبد العزيز بن عبد الله الراجحي – ج١٤ ص ٨
(١) قال الحاكم: " صحيح الإسناد على شرط مسلم". ووافقه الذهبي

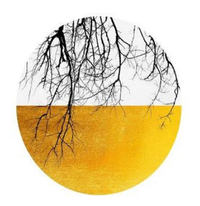


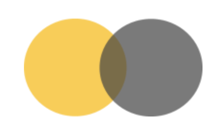
ومعلوم أن كل مسلم له مثل هذه البطاقة، وكل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ومع ذلك يعذب بعضهم بالنار، وهذا لم يعذب

فبعض الناس قال: لأن هذه البطاقة التي فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله قالها عن توبة وإخلاص،

ولهذا نقول: إذا تاب فالتوبة تكفيه، وصاحب البطاقة ثقلت بطاقته بتلك السيئات؛ لأنه قالها بنوع من الصدق والإخلاص الذي يمحو السيئات، وقارن الشهادتين نوع من الإخلاص والصدق،

وكثير من الناس يقولونها وليس عندهم صدق وإخلاص فلهذا يعذبون بسيئاتهم، أما هذا فغفر له بسبب أنه قال هذه البطاقة بنوع من الصدق والإخلاص الذي يمحو السيئات، فكذلك المستغفر، أي: إذا استغفر عن خشية وإنابة يمحو الله بهذا الاستغفار الذنب ولو لم يتب.





من وجد في نفسه إعراضا عن طاعات كان يفعلها فليكثر من الاستغفار،

قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ١٣٥]

وله أن يكثر من الصلاة إن رأى أن الصلاة توجب رجوعه إلى الحق وانتهائه، فالصلاة لا شك مكفرة وتنهى عن الفحشاء والمنكر.

لكن أهم شيء الاستغفار.



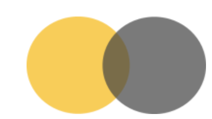
كتاب تفسير سورة المائدة – محمد بن صالح العثيمين – ج١ ص٤٨٣



قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

"سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ أنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ. قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ"

الراوي : شداد بن أوس - صحيح البخاري (٦٣٠٦)



فروق بين التوبة والاستغفار:

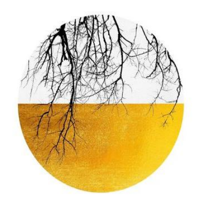
١ _ يختلفان في أصل المادة؛ فمادة التوبة: توب، ومادة الاستغفار: غفر.

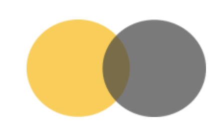
٢ _ يختلفان في التعريف، فالتوبة ترك الذنب، والاستغفار هو طلب المغفرة، وهي وقاية شر الذنوب مع سترها.

٣ _ الاستغفار قد يكون مع الإصرار على الذنب، أما التوبة فلا تكون إلا بالإقلاع، وترك الإصرار.

٤ _ التوبة تقبل، وتمحى بها الذنوب، وقد تبدل حسنات إذا كانت التوبة حسنة نصوحا.

أما الاستغفار فهو مجرد دعاء كسائر الأدعية قد يقبل وقد لا يقبل، قال تعالى : {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} [غافر:٣] .



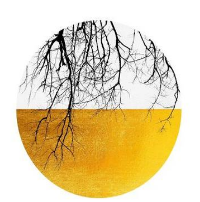


فروق بين التوبة والاستغفار:

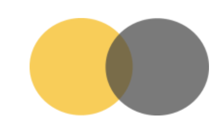
٥_ الاستغفار يقوم به الإنسان عن نفسه، وعن غيره من إخوانه المسلمين، كما قال تعالى عن نوح عليه السلام : {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [نوح:٢٨] .
أما التوبة فلا يقوم بها إلا الإنسان المريد لها؛ إذ لا يصح أن يتوب أحد عن أحد.

٦_ أنه جاء الأمر من الله عز وجل بأن يستغفر المؤمن لذنبه، ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات،
كما قال عز وجل: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد:١٩] . ولم يجئ الأمر بأن يتوب عن أحد من الناس.

٧_ أن المسلم يؤجر إذا استغفر للمؤمنين والمؤمنات، فيكون له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة إذا هو استغفر لهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مَن استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب الله له بكلِّ مؤمنٍ ومؤمنَة حسنةً " (١)
أما التوبة فلا يتأتى فيها مثل ذلك؛ لما سبق من أنه لا يتوب أحد عن أحد.



كتاب مصطلحات في كتب العقائد – محمد بن إبراهيم الحمد – ص ١٨٥
(١) مجمع الزوائد (١٠/٢١٠) ، وصحيح الجامع (رقم:٥٩٠٦)



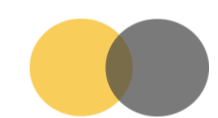
فروق بين التوبة والاستغفار:

٨_ أن الملائكة عليهم السلام يستغفرون للذين آمنوا، ولم يأت أنهم يتوبون عنهم؛
قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [غافر:٧]

٩_ أن التوبة تنتهي بغرغرة الإنسان، أي إذا كان في سياق الموت، فلا يمكنه التوبة في ذلك الوقت، ولا بعده.
أما الاستغفار فقد يستغفر للإنسان إذا كان حيا، أو في سياق الموت، أو بعد الموت.

١٠_ أن الاستغفار له أوقات مطلقة، ومقيدة؛ فالمطلق أن يستغفر الإنسان في كل وقت.
والمقيد كالاستغفار في الجلوس بين السجدتين، وكالاستغفار بعد التسليم من الصلاة، وكالاستغفار بعد الإفاضة من الحج، وكالاستغفار بالأسحار.
أما التوبة فتشرع في كل وقت، بل لا يجوز تأخيرها، ولا التسويف فيها، ما دام الإنسان لم يغرغر، والشمس لم تطلع من مغربها.



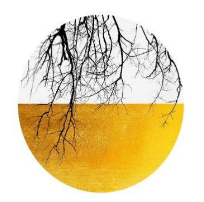


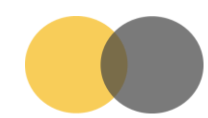
فروق بين التوبة والاستغفار:

١١_ قد يقال: إنهما إذا افترقا اجتمعا، فإذا ذكر الاستغفار وحده في سياق دخلت معه التوبة، وإذا ذكرت وحدها شملت الاستغفار؛ فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة؛ فكل واحد منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، أي إذا ذكر كل واحد منهما على حدة.

١٢_ وإذا اجتمعا افترقا؛ فعند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى كما في قوله تعالى: {وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود:٣] يكون الاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، وتكون التوبة: الرجوع، وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل.

١٣_ وعند اقترانهما أيضا يكون الاستغفار عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح.



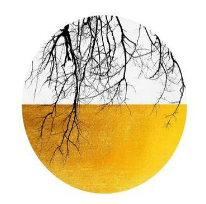
فروق بين التوبة والاستغفار:

١٤_ الاستغفار يكون بصيغة طلب، كقولك: "رب اغفر لي" والتوبة طلب وعزم وندم وفعل وترك.

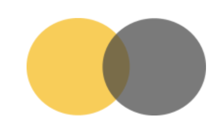
١٥_ التوبة قد يترتب عليها تخلص من حقوق، وتحلل من مظالم، أما الاستغفار فهو مجرد دعاء كسائر الأدعية التي يدعو بها الإنسان لنفسه، أو لغيره.

١٦_ التوبة تكون من الله، وتكون من العبد، والله عز وجل تواب، والعبد تواب؛ والله عز وجل يتوب، والعبد يتوب؛ فإذا كانت التوبة من الله عديت بـ: على، وإذا كانت من العبد إلى الله عديت بـ: إلى؛ كما قال عز وجل : {فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [النساء:١٧] ، وقال: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً} [النور:٣١] .
أما الاستغفار فلا يقال فيه كذلك، بل يقال: إن الله غافر، والعبد مستغفر.

١٧_ التوبة لا بد أن تكون بقصد ونية، أما الاستغفار فقد يبذل للإنسان دون قصده، ودون نيته، بل ربما دون علمه.



كتاب مصطلحات في كتب العقائد – محمد بن إبراهيم الحمد – ص ١٨٧

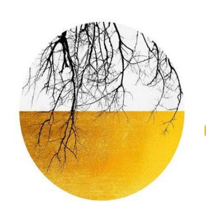


فروق بين التوبة والاستغفار:

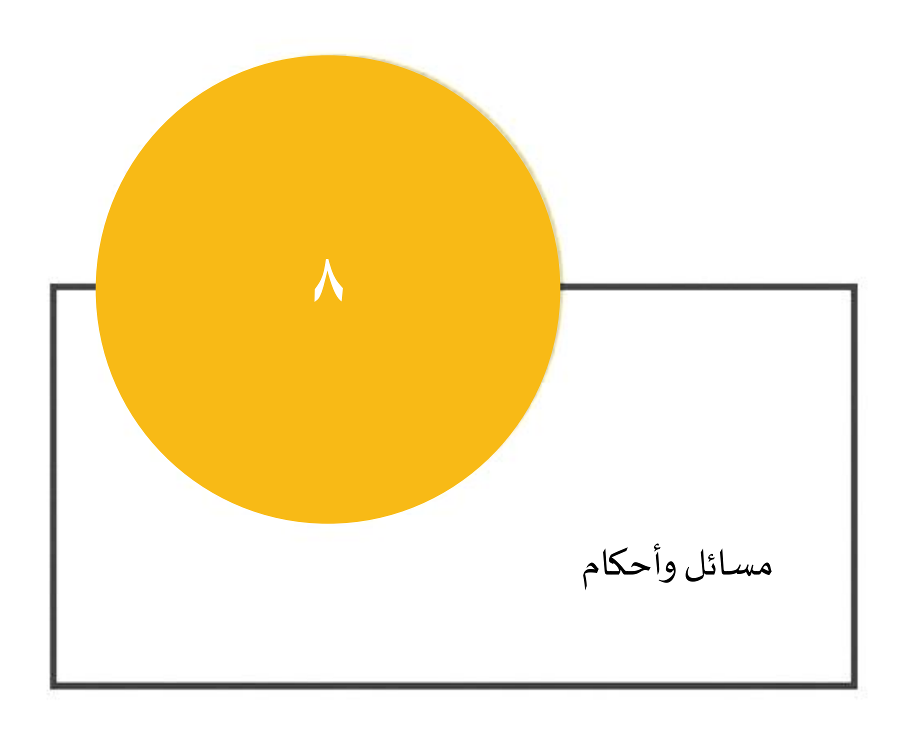
١٨_ أن الله عز وجل يفرح بتوبة التائب كما في حديث: "لله أفرح بتوبة العبد" الحديث.
ولم يرد أنه _عز وجل يفرح بالاستغفار بل ولا غيره من سائر العبوديات إلا التوبة.
وليس معنى ذلك أن تلك العبوديات ليست محبوبة لله، وإنما المقصود أن الفرح خاص بالتوبة.

١٩_ أن التوبة تقبل، بل وتطلب من كل أحد مؤمنا كان أم كافرا، برا أم فاجرا.
أما الاستغفار فلا يقبل إلا من المؤمن، وللمؤمن؛ فلا يقبل من الكافر، ولا يجوز أن يستغفر للكافر، قال تعالى:
{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة:٨٠] .
وقال: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى} [التوبة:١١٣] .

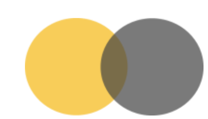
٢٠_ أن التوبة تكون من فعل محرم أو مكروه، أو ترك واجب أو مستحب.
أما الاستغفار فيكون عن ذلك، وقد لا يكون عن شيء من ذلك، بل قد يقوله الإنسان كذكر مجرد، يرجو به الدرجات والحسنات.







مسائل وأحكام



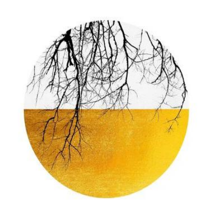
(التائب من الذنب كمن لا ذنب له)

من تاب من الكفر محي عنه الكفر، وإذا تاب من الشرك محي عنه ذنب الشرك، فالتوبة تجب ما قبلها،

(التائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ لهُ) (١)

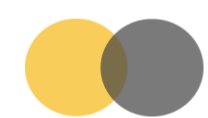
وهذا السبب يعم جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، الكفر وما دون الكفر.

إذا وفق الله العبد للتوبة وتاب فإسلامه يعتبر توبة، وندمه على كفره وعلى سيئاته يعتبر توبة، وعزمه وتصميمه على أنه لا يرجع إلى شيء من ذلك هو من شروط التوبة، وتركه للأعمال التي تاب منها يعتبر أيضا من التوبة.



كتاب شرح العقيدة الطحاوية – عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين – ج ٤١ ص٣

(١) أخرجه ابن ماجة(٤٢٥٠)،والطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٠٢٨١)، والقضاعي في ((مسند الشهاب)) (١٠٨)

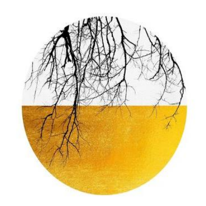


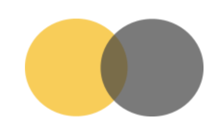
من سب الله، هل تقبل توبته أو لا تقبل؟

في هذا خلاف بين العلماء، منهم قال: من يسب الله لا تقبل توبته، وذلك لأن ردته عظيمة جدا، حيث سب رب العالمين جل وعلا، فلا تقبل توبته؛ لعظم جرمه بهذه الردة، ولكن هذا التعليل في مقابلة النصوص، والتعليل في مقابلة النصوص مرفوض، كالقياس في مقابلة النص، إذن: هذا مرفوض، وقد قال الله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: ١٠٨] فدلت الآية على أن من الكفار من يسب الله عز وجل إذا سبت آلهتهم.

ثم يقال: إن الله سبحانه وتعالى قال في المنافقين: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} [التوبة: ٦٥] يعني نتحدث حديثا لا نقصد معناه، نتحدث حديث الركب لنقطع به عناء الطريق، فقال الله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: ٦٥، ٦٦]، وهذا نص صريح بأن المستهزئ بالله أو آياته أو رسوله كافر؛ لأن الله عز وجل قال: {لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [التوبة: ٦٦] وهذا يدل على أنه قد يكون منهم طائفة يعفى عنها ولا يمكن أن يعفى عنها إلا بتوبة.

وعلى هذا فالقول الراجح: أن من سب الله ورسوله ثم تاب فإن توبته مقبولة.

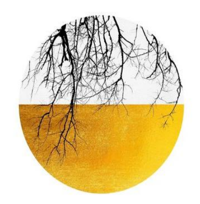


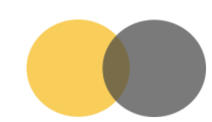


لكن من سب الرسول عليه الصلاة والسلام ثم تاب تقبل توبته، لكنه يقتل، يقتل مسلما؛ لأن هذا حق آدمي وهو الرسول عليه الصلاة والسلام، فلا بد أن نثأر له، لا بد أن نقتل من سبه،

أما من سب الله فالله عز وجل قد أخبرنا عن نفسه أنه يتوب عليه، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام هل يتوب على من سبه؛ لا ندري، ولهذا وجد أناس سبوا الرسول عليه الصلاة والسلام في حياته وعفا عنهم؛ لأن الحق حقه، لما تابوا عفا عنهم، أما بعد موته فإن الحق علينا نحن أتباعه؛ لأنه ليس بحاضر؛ فلا بد أن نثأر لرسولنا - صلى الله عليه وسلم - ونقتل من سبه،

ثم الحمد لله ماذا يكون له إذا قتل؟ ينتقل من الدنيا إلى الآخرة، ينتقل بصفته مسلما، والذي لا يموت اليوم يموت غدا، لكننا إذا أخذنا بالثأر للرسول عليه الصلاة والسلام كان هذا من أدنى الواجبات علينا، وإن كنت قاضيا وعرض عليك فقل: اضربوه بالسيف ولا تبالي.





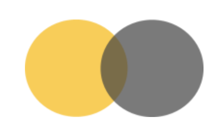
توبة المنافق

إذا تاب المنافق فهل تقبل توبته؟ المذهب لا تقبل توبته؛ لأن الرجل في الأصل يقول: إنه لم يكفر، يقول: إنه مسلم، فإذا قلنا: أنت منافق قال: أبدا، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وستجدونني في الصف الأول في كل الصلوات، فيقولون: إنه لا يقتل، قال السفاريني رحمه الله:
لأنه لم يبد من إيمانه إلا الذي أذاع من لسانه، فلا نقبله؛ لأنه في الأصل يقول: إنه مسلم.

ولكن الصحيح أن توبته مقبولة إذا دلت القرائن على صدقه، بدليل قوله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ} [النساء: ١٤٥، ١٤٦]
انظر إلى الشروط؛ لأن المسألة ليست هينة، هذا الرجل يبدي إيمانه، قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: ١٤٦] شروط ثقيلة في توبتهم؛ لأنهم لا يظهرون إلا الإسلام، فإذا تيقنا ذلك، فالله يقول: {فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا(١٤٦)} [النساء: ١٤٦]، ومنهم هؤلاء المنافقون الذين تابوا؛ لأن الله يقول: {فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ}.



كتاب تفسير سورة المائدة – محمد بن صالح العثيمين – ج٢ ص ٣٩



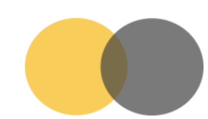
توبة صاحب البدعة

قالوا: المبتدع ولو تاب لا تقبل توبته، ولكن يقال: أين الدليل على خروجه من العمومات؟

قالوا: لأن مفسدته متعدية،
فنقول في الجواب عن هذا: هذه المفسدة المتعدية يمكن إصلاحها بأن يقول هذا الذي ابتدع: إنه رجع عن بدعته وأن الصواب كذا وكذا، مثل ما جرى لأبي الحسن الأشعري رحمه الله، فأبو الحسن الأشعري كان في أولى أمره معتزليا تماما، معتزليا جلدا لا يلين، وبقي على ذلك مدة طويلة من الزمن ثم تاب، وأعلن توبته في المسجد الجامع وخلع عمامته وقال: من كان يعرفني فهو يعرفني، ومن لا يعرفني فأنا فلان، ثم أنكر إنكارا شديدا على المعتزلة، هذه توبة، وربما يكون أجره على إنكار البدعة أعظم من عقوبته على هذه البدعة، مع أن العقوبة انمحت بالتوبة.
كذلك أيضا: لا بد لتحقيق توبة المبتدع من أن يكتب ما يبطل بدعته، حتى يكون صادقا في توبته.

فإن قال قائل: أرأيت لو أن الذين أخذوا ببدعته أبوا أن يرجعوا برجوعه؛ فهل يأثم بإثم بقاء هؤلاء على البدعة؟
الجواب: لا يأثم؛ لأنه أدى ما يجب عليه من التوبة وبين الحق، وإذا أصر هؤلاء على باطلهم فهم على باطلهم.

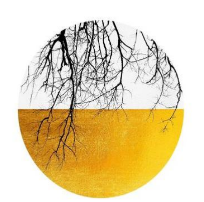




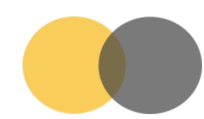
توبة مرض الموت

المريض ولو في مرض الموت تصح منه التوبة ما لم تصل الروح إلى الحلقوم؛ ولهذا ذكر العلماء أن المريض إذا حضره الموت يذكر بالتوبة ويذكر بالشهادة، فإنها تنفعه، ولا يقال له: قل: لا إله إلا الله، حتى لا يضجر ويرفض، بل يقال عنده: لا إله إلا الله، أمامه حتى يتذكر فيقولها.
فإذا قالها سكت، فإن تكلم بشيء من كلام الدنيا أعاد وقال: لا إله إلا الله.

كذلك ذكر العلماء أن من قرب موته يذكر بالتوبة فإنها تنفعه، مثل شخص سيقام عليه الحد قصاصا فيذكر بالتوبة وبالاستغفار، ولو كان يعلم أنه سيقام عليه الحد عن قريب، فيذكر بالتوبة والاستغفار فإنها تنفعه ما لم تصل الروح إلى الحلقوم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (إنَّ اللهَ يَقبَلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ)، فإذا سيقت الروح من الجسد ووصلت إلى الحلقوم انتهى الأمر، وكشف للإنسان عن المستقبل وصار الغيب شهادة، وعاين الملائكة؛ فلا توبة حينئذ.



شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية – عبد العزيز بن عبد الله الراجحي – ج١٥ ص ١٢
(١) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وأحمد (٦١٦٠)

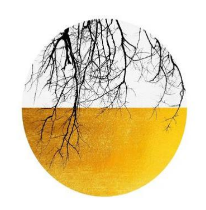



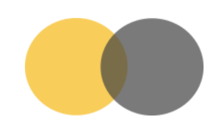
توبة العاجزعن المعصية

إذا حيل بين العاصي وبين أسباب المعصية وعجز عنها، بحيث يتعذر وقوعها منه هل تصح توبته؟

كالسارق إذا قطع، والزاني إذا جب، وشاهد الزور إذا قطع لسانه، وكل من وصل إلى حد بطلت معه دواعيه إلى معصية كان يرتكبها، فتوبته صحيحة، وتكون التوبة من عزمه على المعصية لو قدر عليها، ومن وساوس الشيطان له بالمعصية بأن لا يستحليها ويستعذبها، بل ينفر منها ويشمئز منها.

وإن أحدث ورود الوساوس على قلبه بالمعصية توبة واستغفارا كان ذلك أكمل وأتم في التوبة.





الرياء في التوبة

جاء في أثر معروف: "إن العبد ليعمل العمل سرا لله لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، فيتحدث به، فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية، ثم يصير في ذلك الديوان على حسب العلانية" ؛ فإن تحدث به للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله تعالى أبطله، كما لو فعله لذلك.

فإن قيل: فإذا تاب هذا هل يعود إليه ثواب العمل؟

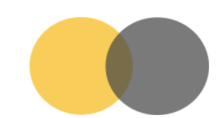
قيل: إن كان قد عمله لغير الله تعالى، وأوقعه بهذه النية، فإنه لا ينقلب صالحا بالتوبة؛ بل حسب التوبة أن تمحو عنه عقابه، فيصير لا له ولا عليه.

وأما إن عمله لله تعالى خالصا، ثم عرض له عجب أو رياء، أو تحدث به، ثم تاب من بعد ذلك وندم، فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط.

وقد يقال: إنه لا يعود إليه، بل يستأنف العمل.



كتاب الوابل الصيب – ابن القيم – ج١ ص ٢٢



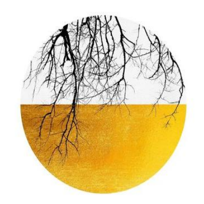
هل تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره؟

الجواب: في هذا خلاف بين العلماء:

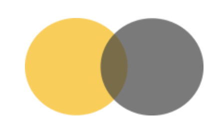
فمنهم من قال: لا تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره؛ لأن التوبة هي الرجوع إلى الله، وهذا رجع رجوعا موزعا فلا ينفعه.

ومنهم من فصل، فقال: إذا كانت التوبة من ذنب مصر على جنسه فإنها لا تقبل، كما لو تاب من النظر إلى النساء، ولكنه مصر على غمز النساء، فهنا لا تقبل التوبة؛ لأنه مصر على جنس الذنب، فالجنس واحد وإن كانت الأفراد مختلفة، أو الأنواع مختلفة.

فمنهم من قال: تقبل التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره، لكنه لا يستحق أن يوصف بأنه تائب على الإطلاق، بل نقول: هو تائب من كذا، فيستحق توبة مقيدة، فلا يعطى الوصف المطلق، ولا يسلب مطلق الوصف، بل يقال: هو تائب من كذا، وهذا هو أعدل الأقوال؛ لأن هذا فيه العدل، إذ لا يمكن أن ننفي عنه التوبة مطلقا، ولا يمكن أن نثبتها مطلقا، نقول: هذا تائب، لكنه لم ينج من العذاب؛ لأنه مصر على معصية أخرى فسيعاقب عليها.



كتاب تفسير سورة المائدة – محمد بن صالح العثيمين – ج٢ ص٢١٦



هل العودة إلى الذنب مفسد للتوبة؟

بمعنى أن الشخص إذا تاب من ذنب ثم عاد إليه هل يعود إثم هذا الذنب عليه لأنه رجع إليه؟

تفصيل هذه المسألة على النحو التالي:

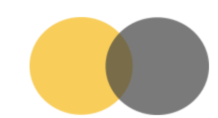
١ - إذا تاب واستمر على توبته، وكانت التوبة مستوفية للشروط خالية من الموانع، فهذه توبة صحيحة لا خلاف فيها بإجماع العلماء.

٢ - أن يتوب من الذنب، ثم يعود إليه، ثم يتوب منه، ثم يعود إليه؛ فإذا كانت كل توبة مستوفية شروطها، فإن كل توبة صحيحة.

٣ - أن يتوب من الذنب، ثم يعود إليه، ويموت على ذلك، فهل يؤخذ بالأول والثاني، أم يؤخذ بالثاني وأما الأول فقد جبته التوبة ورفع عنه الإثم؟

في ذلك قولان لأهل العلم:





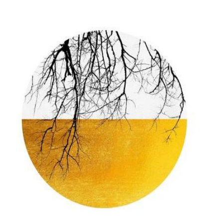
هل العودة إلى الذنب مفسد للتوبة؟

الأول: أنه يؤخذ بالأول والثاني، وتكون معاودته الذنب مرة أخرى ناقضة للتوبة السابقة؛ وذلك لأن التوبة مشروطة باستمرارها والموافاة عليها، وهذا لم يستمر عليها، ولقوله تعالى: {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢] وقوله تعالى: {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢١٧].

الثاني: أنه لا يؤخذ إلا بالثاني، وأما الأول فقد محت أثره التوبة، وصار بمنزلة ما لم يعمله، ويدل لذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنه قال: "أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذْنَبَ، فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذْنَبَ فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ"(١)

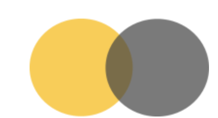
وهو الموافق لسماحة دين الإسلام؛ لما فيه من الترغيب للتائبين والمقبلين على الاستقامة. قال الله تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال: ٣٨].

والقول الثاني هو الراجح، وما ورد من أدلة للقول الأول فإنه محمول على الموافاة بالكفر والموت عليه.



كتاب التوبة إلى الله – صالح بن غانم السدلان – ص٦٧

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٨)

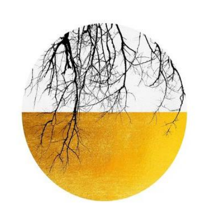


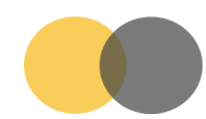
التوبة من الصغائر

قال الحافظ ابن رجب: أوجب أصحابنا وغيرهم من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم التوبة من الصغائر كالكبائر، وقد أمر الله سبحانه عقيب ذكر الصغائر والكبائر بالتوبة في قوله تعالى -: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ...} [النور: ٣٠ - ٣١] إلى قوله: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١] الآية،

وأمر بالتوبة من الصغائر بخصوصها بقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ} [الحجرات: ١١] إلى قوله: {وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١]

قال الحافظ: ومن الناس من لا يوجب التوبة من الصغائر، وحكي عن طائفة من المعتزلة. ومن المتأخرين من أوجب أحد أمرين، إما التوبة منها، أو الإتيان ببعض المكفرات للذنوب من الحسنات.
وحكى ابن عطية في تفسيره في تكفير الصغائر بامتثال الفرائض واجتناب الكبائر قولين:
أحدهما: وحكاه عن جماعة من الفقهاء وأهل الحديث أنه يقطع بتكفيرها بذلك قطعا لظاهر الآية والحديث،
وحكى عن الأصوليين أنه لا يقطع بتكفيرها، بل يحمل على غلبة الظن وقوة الرجاء، وهو في مشيئة الله تعالى، إذ لو قطع بتكفيرها لكانت الصغائر في حكم المباح الذي لا تبعة فيه، وذلك نقض لعرى الشريعة.



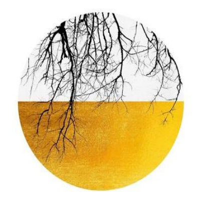


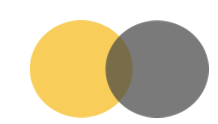
التوبة من ترك الحسنات

يظن بعض الناس أن التوبة لا تكون إلا من العصاة ومرتكبي الذنوب والخطايا، وهذا ظن في غير محله؛ فإن التوبة تكون أيضا ممن ترك الحسنات ولم يستزد من الطاعات، وقد نص بعض أهل العلم على أن العبد إذا ترك فعل المستحبات رغبة عنها فقد باشر أمرا مكروها.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمن لا يواظب على السنن الرواتب،
فأجاب: «من أصر على تركها، دل ذلك على قلة دينه، وردت شهادته في مذهب أحمد والشافعي، وغيرهما» .

وصدق رحمه الله فيما قال؛ فإنك تجد من يقل من فعل السنن أقرب ما يكون إلى مواقعة المحرمات؛ بخلاف من حافظ على السنن والطاعات المستحبات فإنها تكون حاجزا بينه وبين مواقعة المحرمات، فينبغي على المسلم أن يتوب من ترك الحسنات أو التقصير فيها أو التغلغل عنها، ويقبل على الحسنات ويكثر منها كلما تيسرت له ووجد أسبابها.



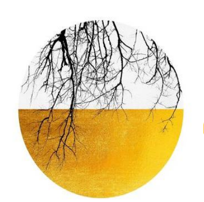


قبول التوبة

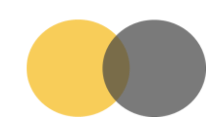
تنازع الناس في العبد: هل يصير إلى حال يمتنع عليه فيه قبول التوبة إذا أرادها؟

فصوب شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه أن التوبة ممكنة من كل ذنب لمن أرادها، ويمكن أن الله يغفر له، قال: وهذا الذي عليه أهل السنة والجمهور، وقد فرض بعض الناس أن من توسط أرضا مغصوبة، ومن توسط جرحى، فكيف ما تحرك قتل بعضهم، فقيل: هذا لا طريق له إلى التوبة،

قال: والصحيح أن هذا وغيره إذا تاب قبل الله توبته، فإن خروج من توسط أرضا مغصوبة بنية تخلية المكان وتسليمه إلى مستحقه ليس بمنهي عنه، ولا محرم، بل الفقهاء متفقون على أن من غصب دارا، وترك فيها قماشه وماله إذا أمر بتسليمها إلى مستحقها، فإنه يؤمر بالخروج منها وبإخراج أهله وماله منها، وإن كان ذلك نوع تصرف فيها، لكنه لأجل إخلائها،
وقد قال تعالى -: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) } [الزمر: ٥٣ - ٥٥] الآيات، فهذه في حق التائبين،



كتاب لوامع الأنوار البهية – محمد بن أحمد السفاريني – ج١ ص٣٨١



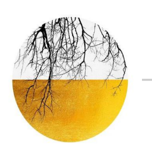
قبول التوبة

وأما آية سورة النساء وهي قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء: ٤٨] فلا يجوز أن تكون في حق التائبين، كما يقوله من يقوله من المعتزلة، فإن التائب من الشرك يغفر له الشرك أيضا بنصوص القرآن واتفاق المسلمين، وقد خص الله - تعالى - في هذه الآية الشرك بأنه لا يغفره، وما عداه لم يجزم بمغفرته بل علقه بالمشيئة فقال: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]

وفي هذه الآية رد على الخوارج والمعتزلة، كما أن فيها ردا على المرجئة والجبرية؛ لأنه سبحانه علق المغفرة بالمشيئة، فلو كان يغفر لكل أحد بطل قوله: لمن يشاء، ولو كان لا يغفر لأحد؛ بطل قوله: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فدلت الآية على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك، لكنها لبعض الناس، وحينئذ فمن غفر له لم يعذب، ومن لم يغفر له عذب،
وهذا مذهب الصحابة وسلف الأمة وسائر الأئمة، وهو القطع بأن من عصاة الأمة من يدخل النار، ومنهم من يغفر له.







لَهَونا لَعَمرُ اللَهِ حَتّى تَتابَعَت

ذُنوبٌ عَلى آثارِهِنَّ ذُنوبُ

فَيا لَيتَ أَنَّ اللَهَ يَغفِرُ ما مَضى

وَيَأذَنُ في تَوباتِنا فَنَتوبُ

أبو العتاهية